الفاصـــــلة في القـــــــرآن

د/ محمد محمد محمد قاســـــم

الأستاذ المساعد
بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فإن القرآن الكريم ، كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، أوحي به الله جل شأنه إلى خير خلقه ، وخاتم رسله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، قال تعالي (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) الشوري : ٥٢ .

أنزله سبحانه ليكون معجزة دالة على صدق الرسول صلي الله عليه وسلم في دعوته وتبليغ رسالته ، وهو إلى جانب ذلك كتاب هداية وإرشاد ومصدر تشريع وأحكام ، اشتمل على القواعد والقوانين والتشريعات التي تكفل الحياة الكريمة للفرد والمجتمع في أمور معاشهم ومعادهم ، قال تعالي (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا. وأن الذين لا يؤمنون بالأخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) الإسراء : ٩ ــ ١٠ ، وقال سبحانه (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين) يونس : ٥٧ .

أعز الله به المسلمين ، ووعدهم إن تمسكوا به بخيري الدنيا والآخرة ، فانكب عليه علماؤهم دراسة وحفظا وتفسيرا ، وكان موضع عناية سلف الأمة وخلفها ، فلم يحظ كتاب في الوجود بعناية مثلما حظي به القرآن الكريم ، وقد صنف العلماء

في علومه ومباحثه كتب ومؤلفات قيمة ، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في جمعه وتدوينه ، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه ، ومنهم من ألف في أسباب نزوله ، وفي أمثاله، وفي فضائله ، وفي تناسب آياته وسوره، وفي إعجازه ، إلى غير ذلك من العلوم الدينية والعربية .

وقد وقع اختياري — بعون الله وتوفيقه — على بحث الفاصلة في القرآن.

والفاصلة هي الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن ، وقد درست في مختلف الكتب التي وضعت في علوم القرآن الكريم ، وعلوم اللغة العربية ، منها كتب "الإعجاز" و"علوم البلاغة" والفاصلة في القرآن الكريم لها مزية هامة ترتبط بما قبلها من الكلام ، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها ، بحيث إذا حذفت لاختل المعني في الآية ، فليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من بقية الآية ، ولهذا نجدها تأتي مستقرة في أماكنها ، مطمئنة في مواضعها ، غير قلقة ولا نافرة .

وأخيرا ، فإنني أدعو الله تعالي أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يجنبنا الزلل والخطأ ، وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، وأن يجعلنا من خدام هذا الكتاب الكريم ، وحملة هذه الشريعة الشريفة ، إنه سميع قريب مجيب.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

دكتور محمد محمد محمد قاسم

تعريف الفاصلة

الفاصلة لغة :

يقول الراغب الأصفهاني " الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة ، ومنه قيل : المفاصل ، الواحد مفصل ، وفصلت الشاة : قطعت مفاصلها ، وفصل القوم عن مكان كذا ، وانفصلوا : فارقوه ، والفواصل : أواخر الآي " (١)

وقال ابن منظور " الفصل : القطع ، وقوله عز وجل (بكتاب فصلناه) (٢) له معنيان : أحدهما تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في فصلناه : بيناه ، وقوله عز وجل (آيات مفصلات) (٣) بين كل آيتين فصل تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة ، وقيل : مفصلات : مبينات ، والله أعلم " (٤).

اصطلاحا :

عرف العلماء الفاصلة اصطلاحا عدة تعريفات :

فمن تعريفاتهم قول الرماني " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني " (٥) .

وقول أبي بكر الباقلاني " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني " (٦).

وقول أبي عمرو الداني " الفاصلة : كلمة آخر الجملة " (٧)

وقول الزركشي " الفاصلة هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع "(٨) .

والفرق بين التعريفين (٩) أن الأول ربط الفاصلة بنهاية الجملة ولو لم تكن رأس آية ، بينما ربطها الثاني برؤوس الآي.

ولعل هذا هو ما قصد إلى بيانه أبو عمرو الداني حين فرق بين الفواصل ورؤوس الآي ، فقال في الفاصلة " هي الكلام

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨١ كتاب الفاء ، وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١٩٤/٤ ـ ١٩٥ ، نزهة الأعين النواظر ص ٤٦٠ باب الفصل .

(٢) سورة الأعراف : آية ٥٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٣٣ .

(٤) لسان العرب : ٣٤٢٢/٥ ـ ٣٤٢٤ مادة فصل .

(٥) إعجاز القرآن ص ٨٩ .

(٦) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٢ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٦٨/٢ .

(٧) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٥٣/١ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٦٨/٢ .

(٨) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٥٣/١ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٦٨/٢ .

(٩) الداني والزركشي .

المنفصل من بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين " [١].

وقال الدكتور أحمد بدوي " نعني بها ــ الفاصلة ــ تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن " [٢].

وقد وردت على هذه التعريفات استدراكات واعتراضات لعل أهمها ما قاله الجعبري في الرد على أبي عمرو الداني إذ يقول " وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ (يوم يأت) [٣]، و (ما كنا نبغ) [٤] وليسا رأس آية، لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية " [٥].

أما تعريف الباقلاني " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني" فينال منه عبد الكريم الخطيب قائلا " والمراد بقوله " يقع بها إفهام المعاني" أنها تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية ، وفي هذا التعقيب يري وجه جديد لتلك المعاني ، فتزداد وضوحا ، وبيانا ، وإذن يكون وظيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصا يبرز به المعنى المراد منها ، أو بمعنى آخر : هي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية ، وهذا يحتاج إلى أن تكون الفواصل جملا مستقلة تؤدي معنى تاما مستقلا بدلالته مثل (والله غفور رحيم) [٦].

ولكن هناك كثير من الفواصل ليست على تلك الصفة ، وإنما قد تكون هي آية قائمة بنفسها مثل قوله تعالي (والضحي) [٧]، وقد تكون جزءا من آية مثل قوله (والسماء والطارق ٠ وما أدراك ما الطارق ٠ النجم الثاقب) [٨].

فالطارق والطارق والثاقب فواصل لآيات ، وهي بمنزلة الجزء من الكل لا يمكن فصلها ٠٠٠ وعلى هذا فالتعريف الذي

(١) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٥٣/١ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٦٨/٢ .
(٢) من بلاغة القرآن ص ٧٥ .
(٣) سورة هود : آية ١٠٥ .
(٤) سورة الكهف : آية ٦٤ .
(٥) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٥٣/١ ـ ٥٤ .
(٦) في الآيات : البقرة / ٢١٨ ، آل عمران / ٣١ ، ١٢٩ ، النساء : ٢٥ ، المائدة / ٧٤ ، الأنفال / ٧٠ ، التوبة / ٢٧ ، ٩١ ، النور / ٢٢ ، الحجرات / ٥ ، الحديد / ٢٨ ، الممتحنة / ٧ ، التحريم / ١
(٧) سورة الضحي : آية ١ .
(٨) سورة الطارق : آية ١ ـ ٣ .

عرف به القاضي أبو بكر (الفاصلة) ليس تعريفا جامعا مانعا كما يقولون ٠٠٠ بل إن للفاصلة وظائف أخري غير هذا" [١].

واختار الأستاذ الخطيب بعد ذلك تعريف الزركشي المفصل حين يقول "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمي فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها أسجاعا " [٢].

ومن الملاحظ أن الذي يجري عليه معظم الدارسين والمدرسين عند شرح النصوص القرآنية يقوم على تعريف الفاصلة بأنها الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن ، وعليها مدار الإعجاز اللغوي القرآني ، لما تحتويه من بلاغة في لفظها ودقة في معناها المرتبط بمحتوي الآية بصفة خاصة ، والمرتبط بمضمون السورة بشكل عام ، وهذا كله دليل قوي على صدق هذه المعجزة وخلودها.

وهذا القدر على كل حال يجب ألا يكون فيه خلاف ، وبخاصة إذا رجحنا أن الفاصلة مأخوذة ــ كما يري كثير من العلماء ــ من قوله تعالي (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) [٣].

ويقول الزركشي في سبب تسميتها بالفاصلة " وتسمي فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها " [٤].

ويقول الدكتور أحمد بدوي " وربما سميت بذلك لأن بها يتم بيان المعنى ويزداد وضوحه جلاء وقوة ، وهذا لأن التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان ، قال تعالي (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته) [٥] فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت ، إذ تصبح الآية لبنة متميزة في بناء هيكل السورة "[٦].

(١) إعجاز القرآن عبد الكريم الخطيب ٢٠٦/٢ ـ ٢٠٧ .
(٢) المرجع السابق والجزء والصفحة ، وانظر البرهان ـ النوع الثالث ٥٤/١ .
(٣) سورة فصلت : آية ٣ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٥٤/١ .
(٥) سورة فصلت : آية ٤٤ .
(٦) من بلاغة القرآن ص ٧٥ .

وإذا أردنا جلاء الدور الذي تؤديه (الكلمة) التي تختم بها الآية من القرآن، فلابد لنا من الإشارة السريعة إلى البناء المجمل لهذه الآية : إن أدق ما يوصف به هذا البناء بأنه (محكم) وهو الوصف الذي جاء في القرآن الكريم نفسه ، قال تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) [١] فالآية القرآنية بناء قد أحكمت لبناته أوثق الإحكام، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها ، أو تنبو عن وضعها، وتأتي الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة ، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقا تاما ، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءا من معنى الآية ، ينقص ويختل بنقصانها .

أي إن الفاصلة تقوم بدور هام في (إحكام) بناء الآية في الشكل والمضمون، أو في المبني والمعنى على حد سواء ، لأن منهج الآية في التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة ، والفصل والوصل ، لا يقوم على اعتبارات شكلية محضة ، بل يتبع كذلك المعنى فيسهم في (إحكامه) أيضا على أوثق وجوه الإحكام، وهذا هو ما أشار إليه الزمخشري في كشافه القديم [٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم ، وفي الأخبار التي رويت عن الأعراب الفصحاء ، الذين فطنوا بسليقتهم إلى غلط بعض القارئين .

يقول تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون . إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)[٣] تري الآية قد كمل معناها بالفاصلة ، وأن الفاصلة قامت بأداء نصيبها منه .

وقد يشتد تمكن الفاصلة في مكانها ، حتى لتوحي الآيات بها قبل نطقها ، كما روي عن زيد بن ثابت أنه قال : أملي على

(١) سورة هود : آية ١ .
(٢) انظر البرهان في علوم القرآن - النوع الثالث ٧٢/١ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢ - ٧ .

رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الآيات (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر) وهنا قال معاذ بن جبل (فتبارك الله أحسن الخالقين) [١]. فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : بها ختمت [٢].

وحتى ليأبي قبولها والاطمئنان إليها من له ذوق سليم ، إذا غيرت وأبدل بها سواها ، كما حكي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه[٣]. والآية إنما ختمت بقوله تعالى (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) [٤].

وحكي الأصمعي قال : كنت أقرأ (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم) وبجنبي أعرابي ، فقال : كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله . قال : أعد فأعدت . فقال : ليس هذا كلام الله . فانتبهت ، فقرأت (والله عزيز حكيم) [٥] فقال : أصبت هذا كلام الله . فقلت : أتقرأ القرآن؟ قال : لا . فقلت من أين علمت ؟ فقال : يا هذا ، عز فحكم فقطع ، ولو غفر فرحم لما قطع .

وسواء أصح ذلك أم لم يصح ، فإنا نشعر هنا بما بين الفاصلة والآية من ارتباط لا ينفصم .

ونأخذ مثلا تلك الآيات التي تنتهي بوصفه سبحانه بالحكمة، نجد فيها ما يناسب تلك الحكمة ويرتبط بها ، قال تعالى (ويسألونك عن اليتامي قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)[٦] . فالمقام هنا مقام تشريع وتحذير ، يستدعي عزة المحذر ، وحكمة المشرع .

(١) سورة المؤمنون : آية ١٢ - ١٤ .
(٢) الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٠/٢ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٠/٢ .
(٤) سورة البقرة : آية ٢٠٩ .
(٥) سورة المائدة : آية ٤١ .
(٦) سورة البقرة : آية ٢٢٠ .

وقوله تعالي (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) [١] ، فالمقام هنا مقام للتعليم ، ووضع هذا التعليم في موضع دون سواه، فناسب ذلك وصفه تعالي بالعلم والحكمة •

وخذ الآيات التي تنتهي بوصفه تعالي بالعلم ، أو بالقدرة ، أو بالحلم ، أو بالغفران ، تجد المناسبة في ذلك الختم واضحة جلية ، قال تعالي (ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله علي كل شئ قدير) [٢] • فالمجئ بالساعة في مثل لمح البصر أو أقرب يستدعي القدرة الفائقة ، وقوله تعالي (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتي وأنه على كل شئ قدير)[٣] • فإحياء الموتي يحتاج كذلك إلى قدرة فائقة ، وقوله تعالي (ولله ملك السموات والأرض والله على كل شئ قدير) [٤] فمالك السموات والأرض ــ لا ريب ــ يقدر على كل شئ •

وربما خفي الأمر في الختم بأحد هذين الوصفين ، كما في قوله تعالي (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوي إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) [٥] ، وقوله تعالي (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شئ قدير)[٦] فإن المتبادر إلى الذهن في آية (البقرة) الختم بالقدرة ، وفي آية (آل عمران) الختم بالعلم ، ولكن لما كانت آية (البقرة) عن خلق الأرض وما فيها على حسب مصلحة أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت، والخالق على هذا الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ، ناسب ذلك ختمها بصفة العلم، ولما كانت آية (آل عمران) مسوقة للوعيد ، وكان

(١) سورة البقرة : آية ٣١ ـ ٣٢ •
(٢) سورة النحل : آية ٧٧ •
(٣) سورة الحج : آية ٦ •
(٤) سورة آل عمران : آية ١٨٩ •
(٥) سورة البقرة : آية ٢٩ •
(٦) سورة آل عمران : آية ٢٩ •

التعبير بالعلم فيها يراد به الجزاء بالعقاب والثواب، ناسب ختمها بصفة القدرة القادرة على هذا الجزاء [١] •

وقد تجتمع فواصل متنوعة بعد ما يكاد يتشابه ، لحكمة في هذا التنوع ، ومن ذلك **قوله تعالي** (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون • وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون)[٢] •

ختمت آية بـ (يتفكرون) لما أن الاستدلال بإنبات الزرع والثمر، على وجود الله وقدرته ، يحتاج إلى فضل تأمل ، يرشد إلى أن حدوث هذه الأنواع يحتاج إلى إله قادر يحدثه ، فناسب ذلك ختم الآية بما ختمت به ، وانتهت الثانية بـ (يعقلون) لما أن تسخير الليل والنهار لخدمة الإنسان ، فيرتاح ليلا ويعمل نهارا ، وتسخير الشمس ، والقمر ، والنجوم ، فتشرق وتغرب في دقة ونظام تامين ، يحتاج إلى عقل يهدي إلى أن ذلك لابد أن يكون بيد خالق مدبر ، فختمت الآية بـ (يعقلون) ، وختمت الآية الأخيرة بـ (يذكرون) ، لأن الموقف فيها يستدعي تذكر ألوان مختلفة بثها الله في الأرض ، للموازنة بين أنواعها ، بل الموازنة بين أصناف نوع منها ، فلا يلهيهم صنف عن سواه ، ولا يشغلهم نوع عن غيره ، وهذه الموازنة تفضي إلى الإيمان بقدرة الله ، خالق هذه الأنواع المختلفة المتباينة [٣] •

وقال الغرناطي " للسائل أن يسأل عن تعقيب الأولي بقوله (لقوم يتفكرون) وتعقيب الثانية بقوله (لقوم يعقلون) والثالثة بقوله (لقوم يذكرون) ؟•

والجواب عن ذلك ، والله أعلم : أن إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات بالماء المنزل من السماء مع كونه واحدا والمنبت مختلف الأنواع والطعوم والمنافع أمر يوصل إلى تعرفه وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك وإن لم يطل ، بشرط السلامة من الغفلة ، فيحصل بمجرد الفكر على

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٥/٢ ، ٢٨٦ ، من بلاغة القرآن ص ٧٨ ـ ٧٩ •
(٢) سورة النحل : آية ١٠ ـ ١٣ •
(٣) الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٥/٢ ـ ٢٨٦ بتصرف •

عظيم المعتبر ، وأما تسخير الليل والنهار إلى ما ذكر معهما فلا يكتفي في معرفة ذلك والحصول علي الاعتبار به بمجرد الفكر ، فإن العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفي إلا على ذوي البصائر والفطن السليمة والعقول الراجحة ، فلم يقنع التفكر هنا بل وصف المعتبر بها بما هو فوق الفكر ، وتأمل ما تعقب به موضع الاعتبار في قوله تعالي (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) [١] ، لما كان في الاعتبار بما انطوت عليه الآية غموض وخفاء قيل (لقوم يعقلون) ، وأما الآية الثالثة وهي قوله (وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه) [٢] ببدأة الفكر السليم ، فقصد التذكير كاف في حصول الاعتبار بذلك ، فإذا تأملت ما ذكرناه ألفيت ذلك كله واردا على أجل مناسبة ، وعلمت أن كل آية من هذه الثلاث لا يناسبها إلا ما أعقبت به " [٣].

وإذا كان في هذه الشواهد ما يوضح دور الفاصلة الهائل في إحكام المبني والمعنى جميعا ، بما يغني عن مزيد من العرض ، في سياق الإثبات وإقامة الدليل، إلا أني أورد هنا شاهدا ، أو شاهدين ، قد هدتنا إلى جوانب إيجابية واسعة في هذا الباب .

أ ــ **قال الله تعالي** (عبس وتولي . أن جاءه الأعمي . وما يدريك لعله يزكي . أو يذكر فتنفعه الذكري . أما من استغني . فأنت له تصدي . وما عليك ألا يزكي . وأما من جاءك يسعي . وهو يخشي . فأنت عنه تلهي) [٤] .

نزلت هذه الآيات الكريمة في عتاب النبي صلي الله عليه وسلم حين أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمي وقد جاءه يطلب سماع القرآن ، وأن يعلمه النبي شيئا مما علمه الله سبحانه... وكان النبي صلي الله عليه وسلم مشغولا بنفر من كبار قريش يعرض عليهم الإسلام ، يطمع في دخولهم فيه ، وما

(١) سورة البقرة : آية ١٦٤ .
(٢) سورة النحل : آية ١٣ .
(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للغرناطي ٢/٧٣٣ ـ ٧٣٤ .
(٤) سورة عبس : آية ١ ـ ١٠ .

يتبع ذلك من هداية من وراءهم ، فعبس صلي الله عليه وسلم في وجه عبد الله وأعرض عنه ، فنزلت الآيات مبينة أن ميزان الله هو الميزان ، وأنه ليس للنبي الكريم أن يعرض عن رجل هو في ميزان الله فوق أولئك الرؤساء والزعماء ، أصحاب الجاه الواسع، والمكانة العالية ، والثراء العريض ، حتى ولو كان النبي صلي الله عليه وسلم مشغولا معهم بأمر يخص الدعوة والإسلام لا بأمر شخصي أو له علاقة بالنبي نفسه ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

وأقف أولا عند الفاصلتين الأولي والثانية . إن دور هاتين الفاصلتين من حيث إحكام اللفظ ، مع سائر الفواصل الأخري واضح لا يحتاج إلى تعليل ... ولكن أقول : إن وراء هذا الإحكام إحكام آخر كذلك من حيث المعنى والفحوي : فكلمة (تولي) صورت إعراض النبي النفسي أو الداخلي إذا ما قورنت بكلمة (عبس) التي صورت حالة النبي صلي الله عليه وسلم التي ارتسمت على وجهه الشريف .

ومعنى ذلك أن هاتين الكلمتين استقلتا بتصوير حالة الإعراض التي ألمت بالنبي الكريم من حيث الظاهر والباطن ، وأذكر مع هذا أن العبوس الذي صورته الآيات القرآنية عن الوجه الشريف لم يره عبد الله الذي عبس النبي في وجهه لأنه كان أعمي ، واذكر كذلك أن (التولي) الذي سجلته الآية أو الكلمة القرآنية هو حالة نفسية داخلية ، وأنها لا يراها البصير ، فقد يكون أحدنا مقبلا على الآخر بحديثه من حيث الظاهر ، ولكنه معرض عنه من الداخل أو من الناحية النفسية الشعورية لأي سبب من الأسباب .

يضاف إلى ذلك أن الذي هيأ ومكن لهذه الفاصلة هو مجئ الآيتين الأولي والثانية بصيغة الغائب (عبس وتولي . أن جاءه الأعمي) ، ولم يقل الله سبحانه وتعالي (عبست وتوليت) ولو حصل ذلك لكان مفسدا لأمر الفاصلة .

ولولا أن الكلام في الآيات الكريمة استوي إلى وضعه الأصلي ــ الخطاب ــ في الآية الثالثة (وما يدرك لعله يزكي) لما علمنا ابتداء أن الآيات نزلت في شأن النبي الكريم ــ عليه صلوات الله وسلامه ــ مع بعض الصحابة في واقعة بعينها .

وأشير أخيرا إلى أن الفاصلة في الآية الثانية ، وهي كلمة (الأعمي) جاءت بوصف الصحابي دون اسمه ، كأنها تومئ أو

تشير إلى سبب الإعراض عنه ، أو تحمل في مدلولها العام والقريب إشارة إلى أن هذه العاهة يجب ألا تحمل أحدا إلى يوم الدين أن يعرض عن أعمي في أي موقف قريب أو مماثل ، وفي هذا إخراج للنص القرآني من أن تراد به حالة (تاريخية) خاصة .

وهذا كله من حيث المعنى ، أما من حيث دور هذه الكلمة في بناء الفواصل مع كلمة (تولي) ثم مع سائر فواصل الآيات الكريمة (يزكي ، الذكري ، استغنى ...) فأوضح من أن يشار إليه [١] .

وأكتفي بالحديث عن هاتين الفاصلتين ، تاركا الكلام في سائرها إلى موضعه من باب التفسير إن شاء الله .

ب ــ الشاهد الثاني : قال الله تعالى في سورة الحاقة في وصف القرآن الكريم (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) [٢] .

وأقف هنا سريعا أمام الفاصلة موضوع البحث ، وهي الكلمة التي تختم بها الآية ، دون الفاصلة الأخري الواضحة في هاتين الآيتين ، جاءت فاصلة الآية الأولي (تؤمنون) وفاصلة الآية الثانية (تذكرون) فتم بهما التنويع والتلوين في النظم ، وكانت الآية الأولي يناسبها من حيث المعنى أن تختم بما ختمت به ، لأن انفصال القرآن ومخالفته لنظم الشعر أمر واضح بين ، فمن نسب القرآن إلى الشعر فقد قال ما قال كفرا وعنادا خالصا ، أو لم يحمله على ذلك القول إلا الكفر والعناد ، فناسب ذلك أن تختم الآية بقوله (قليلا ما تؤمنون) ، أما مخالفة القرآن الكريم لسجع الكهان ، وفي القرآن الكريم عدد غير قليل من الآيات المسجوعة... فليست من الوضوح لكل أحد لمخالفة الشعر ، وقد لا تظهر لبعض الناس إلا بتدبر القرآن والوقوف على أسباب بلاغته وفصاحته ... ومخالفة أسلوبه لكلام الكهان ، فختمت الآية الثانية لذلك بقوله (قليلا ما تذكرون) .

قال الغرناطي " للسائل أن يسأل عن الوجه في نفي الإيمان عنهم عقب تنزيه ما جاء به صلي الله عليه وسلم من

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي النيسابوري ص ٣٨٥ ، لباب النقول في أسباب النزول ص ٢٢٧ ، جامع النقول في أسباب النزول ٣٢٨/٢ ، تفسير القرآن العظيم ٤٧٠/٤ ، مفاتيح الغيب ٢١٤/١٦ ، التفسير المنير ٦١/٣٠ ، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ص ١٩٧ .

(٢) سورة الحاقة : آية ٤١ ـ ٤٢ .

القرآن عن أن يكون شعرا ، ونفي التذكر عنهم عقب تنزيهه عن أن يكون من قبيل قول الكهان ؟ .

والجواب عن ذلك ، والله أعلم : أن نفي كون القرآن من أقوال الكهنة أمر لا يحتاج إلى كبير نظر ولا استعمال طول فكر، بل يوصل إلى ذلك بأدني التفات، فناسب هذا نفي التذكر ، وأما تنزيهه عن إلحاقه بقبيل الشعر وما يرجع إلى نحو ذلك من أقوال الخطباء وأسجاعهم فقد توهم الجاحد الظلوم المتعامي عن النظر وصرف التفكر إلى تدبره والإصغاء إلى سماعه ، المترامي إلى التعلق بأدني شبهة يستريح إليها رجوعه إلى ذلك ، فناسب هذا نفي التصديق لأنه إنما يكون عن ركون إلى نظر وتفكر ، فجاء كل على ما يناسب ، والله أعلم " [١] .

وأكثر ما تكون الفواصل تماثلا [٢] **في حروف الروي** [٣] **في الآيات المكية، كما نري ذلك في قوله تعالي** (والنجم إذا هوي. ما ضل صاحبكم وما غوي. وما ينطق عن الهوي. إن هو إلا وحي يوحي . علمه شديد القوي . ذو مرة فاستوي. وهو بالأفق الأعلي) [٤] .

وقد تكون الفواصل متقاربة [٥] **، كما في قوله تعالي** (حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) [٦] .

فالميم والنون حرفان متقاربان في المخرج اللفظي.

فالفقر في الآيات السابقة رقيقة النغم ، موجزة اللفظ ، وافية المعنى.

وقد جاء القرآن الكريم بأسهل موقف ، وأعذب مقطع ، وكثر فيه ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون ، فيمكن القارئ الذواق من التطريب ، قال سيبويه " إن العرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ــ ما

---

(١) ملاك التأويل ١٠٩٦/٢ .

(٢) الفاصلة المتماثلة : يقصد بها أن تنتهي الآيات بحرف واحد ، كالراء ، أو الميم ، أو النون ، أو السين .

(٣) هو الحرف الأخير من الكلمة .

(٤) سورة النجم : آية ١ ـ ٧ .

(٥) الفاصلة المتقاربة : هي التي يكون بين حروف الكلمات تقارب في المخرج كالدال والباء .

(٦) سورة الدخان : آية ١ ـ ٦ .

ينون وما لا ينون ــ لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا " [١].

والسور التي جاءت فواصلها كلها على حرف واحد ليست قليلة ، فمن ذلك سورة الكهف ، والفتح ، والإنسان ، والأعلي ، والشمس ، والليل ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف الألف.

ومن ذلك سور : القمر ، والقدر ، والكوثر ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف الراء.

وأما سورة الإسراء ، والفرقان ، والأحزاب ، فإن فواصلها كلها ، وإن جاءت على الألف ، فإن كل واحدة منها قد جاءت فيها فاصلة على غير الألف ، وهي الراء في (الإسراء) وذلك في قوله تعالي (إنه هو السميع البصير) [٢]، واللام في (الفرقان) في قوله تعالي (أم هم ضلوا السبيل) [٣] ، واللام في (الأحزاب) في قوله تعالي (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)[٤].

ومن ذلك سورة (المنافقون) ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف النون، كذلك سورة (الفيل) فإن فواصلها كلها جاءت على حرف اللام ، وكذلك سورة (الناس) ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف السين.

وقد كثر مجئ الفواصل على بعض الأحرف كالنون ، وقل مجيئها على بعض الأحرف كالشين .

وقد يكون القرآن خاليا من المقاطع في بعض الآيات ، لكنه لا ينزل في وزنه ونغمه عن مستواه الأعلي ، ومن ذلك كثير من آيات الأحكام ، مثل آية المواريث (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم

(١) الكتاب ٢٩٨/٢ ، نقلا عن البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٦٨/١ .
(٢) سورة الإسراء : آية ١ .
(٣) سورة الفرقان : آية ١٧ .
(٤) سورة الأحزاب : آية ٤ .

إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) [١].

فهاتان الآيتان يعدان من الآيات الطوال ، إذ يبلغ حجمهما في المصحف أكثر من اثني عشر سطرا ، ومع ذلك فليس فيهما إلا مقطعين لا يعدان فواصل متقاربة ولا متماثلة ، وإنما هو كلام الله المنثور ، فالنغم متآخ ، والمعاني متلاقية، والألفاظ متجانسة ، مع بيان واضح للأحكام ، وتفصيل كامل للتشريع [٢].

وسيأتي التفصيل في بحثنا هذا إن شاء الله .

* * *

(١) سورة النساء : آية ١١ ـ ١٢ .
(٢) انظر الفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص ٤ ـ ٦ .

ضوابط الفواصل : [١]

قال الجعبري : لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي وقياسي .

الأول : التوقيفي ، روي أبو داود [٢] عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت : كان يقطع قراءته آية آية ، وقرأت (بسم الله الرحمن الرحيم) إلى (الذين) تقف على كل آية .

فمعنى " يقطع قراءته آية آية " أي يقف على كل آية . وإنما كانت قراءته صلي الله عليه وسلم كذلك ليعلم رؤوس الآي، قال : ووهم من سماه وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا ، وإن كان لغيره فلا ، فما وقف عليه السلام عليه دائما تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخري ، احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة ، والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

الثاني : القياسي ، وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص، لمناسب ، ولا محذور في ذلك ، لأنه لا زيادة ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل ، والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه .

آراء العلماء في وجود السجع [٣] في القرآن : ــ

القول الأول :

ذهب بعض العلماء إلى نفي السجع عن القرآن الكريم ، منهم الرماني والباقلاني وغيرهم .

---

(١) استمدت هذه الفقرة من البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٩٨/١ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٦٨/٢ ـ ٢٦٩ .

(٢) سنن أبي داود ـ كتاب الصلاة ـ باب : استحباب الترتيل في القراءة ٧٣/٢/١ ـ ٧٤ رقم ١٤٦٦ ، سنن الترمذي ـ أبواب فضائل القرآن ـ باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلي الله عليه وسلم ٢٥٤/٤ رقم ٣٠٩١ .

(٣) السجع : هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر التعريفات للجرجاني ص ١٥٦ ، وانظر المثل السائر ١٩٠/١ ، لسان العرب ١٩٤٤/٣ مادة سجع ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص ٣٢٦ .

حجج الذين نفوا السجع من القرآن :

١ــ رأي الرماني : قال : " الفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة ، إذ كان الغرض إنما هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة ، فإذا كانت المشاكلة [١] موصلة إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنه [٢] ، لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة ، ومثله مثل من رصع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا، ونظم قلادة [٣] ثم ألبسها كلبا ، وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدني فهم " [٤]

وهكذا نجد الرماني يفرق بين الفاصلة والسجع في الجواز، فالفاصلة بلاغة، والسجع عيب ، والفواصل : ألفاظها تتبع المعاني ، والسجع : اتحدت حروفه دون نظر إلى المعنى ، والقرآن في نظره يعلو أن يكون سجعا .

٢ــ رأي الباقلاني :

وافق البلاقلاني الرماني في إنكار السجع في القرآن الكريم ، ووصف ما أدعاه الآخرون بوجوده في القرآن ، وما ساقوه من أدلة بأنها وهم ، فقال : "والذين يقولون بأنه سجع هو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع ، وإن لم يكن سجعا، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى" [٥]

فالباقلاني ، ومن تبعه من الأشاعرة يقولون بامتناع كون في القرآن سجعا، وهم لا يذكرون السجع إلا من خلال هذه الصورة القاتمة من صور البيان ، وهي أن يكون اللفظ فيها مقدما على المعنى .

والذي دفع الباقلاني إلى هذا هو تشبيه السجع بالشعر ، فالشعر تقصد فيه القوافي المتحدة في الألفاظ ، ثم يكيف المعنى

---

(١) المشاكلة : ذكر الشئ بغير لفظه ، اعتمادا على معموله أو عامله الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة للجرجاني ص ٢٦٧ .

(٢) الألكن : الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه لسان العرب ٤٠٧٠/٥ مادة لكن .

(٣) القلادة : ما جعل في العنق ، يكون للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدى ونحوها لسان العرب ٣٧١٨/٥ مادة قلد .

(٤) إعجاز القرآن للرماني ص ٩٧ ، وانظر البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٥٤/١ .

(٥) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢١ .

على الألفاظ لتستقيم القافية ، ولما كان الشعر منفيا عن القرآن ، فكذلك السجع الذي يتبع منهجه ، وتجئ المعاني فيه تابعة للألفاظ، وأن الله تعالي عندما استنكر أن يكون القرآن قول شاعر، أو كاهن في قوله تعالي (إنه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون • ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) [١] فقد أدخل السجع في النفي ، وهو السجع الذي يكون المقصد الأول فيه اللفظ [٢] .

٣ــ قالوا : لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر [٣].

٤ــ لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعا : لكان مذموما مرذولا لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه ، كان قبيحا من الكلام ، وللسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط ، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وكان شعره مرذولا ، وربما أخرجه عن كونه شعرا [٤].

٥ــ وأما ما ذكروه من تقديم (موسي) على (هارون) عليهما السلام في موضع ، وتأخيره عنه في موضع [٥] لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبين البلاغة ، وأعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررا ••• فعلي هذا يكون المقصد ــ بتقديم بعض الكلمات مبتدأ به ومكررا ••• فعلي هذا يكون المقصد ــ بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها ــ إظهار الإعجاز على الطريقين جميعا دون السجع الذي توهموه [٦] .

---

(١) سورة الحاقة : آية ٤٠ ـ ٤٢ .
(٢) انظر الفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص ١٢ .
(٣) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢١ .
(٤) المرجع السابق والصفحة .
(٥) اقترن (موسي وهارون) في القرآن الكريم عشر مرات ، تسع منها يتقدم فيها ذكر موسي على هارون : أربع مرات في غير الفاصلة : البقرة ٢٤٨ ، الأنعام : ٨٤١ ، يونس : ٧٥ ، الأنبياء : ٤٨ ، وخمس مرات في الفاصلة : الأعراف : ١٢١ ، المؤمنون:٤٥، الشعراء : ٤٨ ، الصافات : ١١٤ ، ١٢٠ ، وتقدم هارون على موسي في موضع واحد في الفاصلة ، موضع الجدل (قالوا آمنا برب هارون وموسي) طه : ٧٠ .
(٦) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٢ ـ ٢٣ .

٦ــ لا يقال في القرآن الكريم أسجاع ، بل إنما يقال : فواصل لقوله تعالي (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) [١]

٧ــ واستدلوا ــ أصحاب القول الأول ــ على كراهية القول بالسجع في القرآن بما جاء في صحيح مسلم [٢] أن أبا هريرة قال : اقتتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخري بحجر فقتلتها ، وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقضي رسول الله صلي الله عليه وسلم أن دية جنينها غرة : عبد أو وليدة ، وقضي بدية المرأة على عاقلتها ، وورثها ولدها ومن معهم ، فقال حمل ابن النابغة الهذلي : يا رسول الله ، كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ؟ فمثل ذلك يطل [٣] ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إنما هذا من إخوان الكهان " من أجل سجعه الذي سجع •

وقريب منه لفظ البخاري [٤] •

فقالوا بكراهية السجع لما أنكره الرسول ــ عليه السلام ــ من قول الرجل، ووصف بكلام الكهان ، مما جعلهم يكرهون وصف نهاية آيات السور بالسجع• ولعل أول ما يلفت النظر في هذه الحجج أن معظمها مما ذهب إليه أو انتصر له الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) •

القول الثاني :

لكننا نجد اتجاها آخر من العلماء ، يثبت السجع في القرآن، وإن كان السجع في القرآن أعلي مما يستطيع البشر أن يزاولوه ، ومن هؤلاء :

١ــ **أبو هلال العسكري** : قال : " وجميع ما في القرآن مما يجري من التسجيع والازدواج [٥] مخالف في تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الحلاوة ، لما يجري مجراه من كلام الخلق ، ألا تري قوله تعالي (والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا • فالمغيرات صبحا • فأثرن به نقعا • فوسطن به جمعا)[٦] •

---

(١) سورة فصلت : آية ٣ •
(٢) صحيح مسلم ـ كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ـ باب دية الجنين ، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني ١٠٥٨/٣ رقم ١٦٨١ •
(٣) يطل : معناه يهدر ويلغي ولا يضمن صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٨/١١/٤ •
(٤) صحيح البخاري ـ كتاب الطب ـ باب الكهانة ١٨٣٨/٤ رقم ٥٧٥٨ •
(٥) ازدوج الكلام وتزاوج : أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن ، أو كان لإحدي القضيتين تعلق بالأخري لسان العرب ١٨٨٦/٣ مادة زوج •
(٦) سورة العاديات : آية ١ ــ ٥ •

قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجري من مثل قول الكاهن (والسماء والأرض ، والقرض والفرض ، والغمر والبرض) ؟ ، ومثل هذا من السجع المذموم ، لما فيه من التكلف والتعسف ، ولهذا قال النبي صلي الله عليه وسلم ، لرجل قال " وكيف أغرم من لا شرب له ولا أكل ، ولا صاح ، فاستهل ، فمثل ذلك دمه يطل " أسجعا كسجع الكهان [1] ؟ لأن التكلف في سجعهم فاش ، ولو كرهه ــ عليه السلام ــ لكونه سجعا ، لقال أسجعا ؟ ، ثم سكت ، وكيف يذمه ، ويكرهه ، وإذا سلم من التكلف ، وبرئ من التعسف ، لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه ، وقد جري عليه كثير من كلامه ــ عليه السلام "[2].

٢ــ ابن سنان :

وابن سنان يسمي ما في القرآن الكريم من المقاطع المتماثلة سجعا، إلا إنه يعده من السمو والعلو بحيث لا يستطيع أحد من البشر أن يسمو سموه ، ويسوق نصوصا من القرآن كثيرة منها (طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي . إلا تذكرة لمن يخشي . تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلي . الرحمن علي العرش استوي. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثري) [3].

ويتكلم ابن سنان عن البواعث التي دفعت المفكرين إلى القول بوجود السجع في القرآن ، فيحمد لهم تلك البواعث ، مع الثبات على مخالفتهم ، فيقول " وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصلا ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة ، وغيرهم ، وهذا غرض في التسمية قريب .

فأما الحقيقة فما ذكرناه ، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره في كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جميعه في كونه عرضا ، وصوتا ، وحروفا ، وكلاما ، وعربيا ، ومؤلفا ، وهذا مما لا يخفي ، فيحتاج إلى زيادة في البيان ، ولا فرق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع" .

ثم يقول ردا على معترض :

---

(١) سبق تخريجه ص ٢١ .
(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٢٦٦ .
(٣) سورة طه : آية ١ ـ ٦ .

" فإن قال قائل : إذا كان عندكم أن السجع محمود ، فهلا ورد القرآن كله مسجوعا ، وما الوجه في ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع ؟ .

قيل : إن القرآن أنزل بلغة العرب ، وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان الفصيح في كلامهم لا يكون كله مسجوعا ، لما في ذلك من أمارات التكلف ، والاستكراه ، والتصنع ، لا سيما فيما يطول من الكلام ، فلم يرد مسجوعا جريا به على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم ، ولم يخل من السجع ، لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة التي قدمناها ، وعليها ورد في فصيح كلامهم ، فلم يجز أن يكون عاليا في الفصاحة وقد أخل فيه بشرط من شروطها ، فهذا هو السبب في ورود القرآن مسجوعا وغير مسجوع " [1].

فتصريف القول في القرآن ، فيأتي بالسجع أحيانا ، أو بالفواصل المتقاربة حروفها في المقاطع أحيانا ، أو إطلاق الألفاظ في القرآن من غير مقاطع ، مع وجود ذلك كله في أعلي درجات البلاغة ــ كان لحكمة سامية ، وسر لطيف ــ وهو التصريف في القول ، يقول تعالي (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) [2] .

٣ــ رأي ابن الأثير :

استنكر ابن الأثير قول من يذمون السجع ، كما استنكر القول من العلماء الذين لا يسمون ما في القرآن من اتحاد المقاطع سجعا ، يقول :

" وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أري لذلك وجها سوي عجزهم أن يأتوا به ، وإلا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم ، فإنه قد أتي منه بالكثير ، حتى أنه ليؤتي بالسورة جميعا مسجوعة ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر، وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور .

فمن ذلك قوله تعالي : (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا. خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا) [3].

وكقوله تعالي (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي . إلا تذكرة لمن يخشي. تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلي .

---

(١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ١٦٦ .
(٢) سورة الإسراء : آية ٨٩ .
(٣) سورة الأحزاب : آية ٦٤ ــ ٦٥ .

الرحمن على العرش استوي. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثري . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفي . الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسني) [١].

وكذلك قوله تعالي (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج. أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) [٢].

وكقوله تعالي (والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا. فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا) [٣].

وأمثال ذلك كثيرة .

وقد ورد على هذا الأسلوب من كلام النبي صلي الله عليه وسلم شئ كثير أيضا.

فمن ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " استحيوا من الله حق الحياء " قلنا : إنا لنستحي من الله يا رسول الله ، قال : " ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعي ، والبطن وما حوي، وتذكر الموت والبلي ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحي يعني من الله حق الحياء " [٤].

ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، يعني المدينة ، فجئت في الناس لأنظر إليه ، فلما تبينت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شئ تكلم به أن قال " أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام"[٥].

---

(١) سورة طه : آية ١ ـ ٨ .
(٢) سورة ق : آية ٥ ـ ٧ .
(٣) سورة العاديات : آية ١ ـ ٥ .
(٤) رواه الترمذي ـ أبواب صفة القيامة ٥٤/٤ رقم ٢٥٧٥ ، وقال الترمذي " هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد " ، مسند أحمد ٣٨٧/١ ، المستدرك للحاكم ـ كتاب الرقاق ٣٢٣/٤ ، وقال الذهبي " صحيح ".
(٥) رواه الترمذي ـ أبواب صفة القيامة ٦٥/٤ رقم ٢٦٠٣ ، وقال " هذا حديث صحيح " ، سنن الدارمي ٢٧٥/٢ .

فإن قيل : إن النبي صلي الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع : " أسجعا كسجع الكهان" [١] ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبي صلي الله عليه وسلم .

فالجواب عن ذلك أنا نقول : لو كره النبي صلي الله عليه وسلم السجع مطلقا لقال : " أسجعا" ؟ ثم سكت ، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لم كان، فلما قال : "أسجعا كسجع الكهان" صار المعنى معلقا على أمر ، وهو إنكار الفعل لما كان على هذا الوجه .

فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير ، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق ، وقد ورد في القرآن الكريم ، وهو صلي الله عليه وسلم قد نطق به في كثير من كلامه، حتى أنه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها من أجل السجع ، فقال لابن ابنته عليهما السلام : " أعيذه من الهامة[٢] والسامة [٣] وكل عين لامة [٤] " [٥].

وكذلك قوله صلي الله عليه وسلم " ارجعن مأزورات غير مأجورات"[٦]. وإنما أراد " موزورات " من الوزر ، فقال " مأزورات " لمكان " مأجورات " طلبا للتوازن والسجع ، وهذا مما يدلك على فضيلة السجع " [٧].

٤ـ قالوا : لم يكن القرآن كله مسجوعا ، لأنه أنزل بلغة العرب. وعرفهم وعادتهم ، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا ، ولأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ، ولما في الطبع من الملل[٨].

٥ـ قال ابن النفيس : يكفي في حسن السجع ورود القرآن به ، قال : ولا يقدح في ذلك خلوه في بعض الآيات ، لأن الحسن

---

(١) سبق تخريجه ص ٢١ .
(٢) هامة : واحدة الهوام ، والهوام : الحيات وكل ذي سم يقتل سمه لسان العرب ٤٧٠٤/٦ مادة همم.
(٣) السامة : مؤنث السام ، والسام : كل ذي سم كالثعبان لسان العرب ٢١٠٢/٣ ، المعجم الوسيط ٤٥١/١
(٤) العين اللامة : التي تصيب بسوء لسان العرب ٤٠٧٩/٥ مادة لمم .
(٥) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب : حدثنا موسي بن إسماعيل ١٠٤١/٢ رقم ٣٣٧١ ، سنن ابن ماجه ـ كتاب الطب ـ باب ما عوذ به النبي صلي الله عليه وسلم وما عوذ به ١١٦٣/٢ رقم ٣٥١٩
(٦) سنن ابن ماجه ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور ٥٠٢/١ ـ ٥٠٣ رقم ١٥٧٨ .
(٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٩٠/١ ـ ١٩٢ .
(٨) الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٧٤/٢ .

قد يقتضي المقـــام الانتقال إلى أحسن منه[١].

٦ــ إثبات السجع في القرآن صحيح ، لأنه مما يبين بـه فضـل الكلام ، ولأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيـان والفصاحة ، كالجناس [٢] والالتفات [٣] ونحوها [٤] .

٧ــ قالوا : لا اعتداد بما ذهب إليه الباقلاني الـذي ينفـي مـن القرآن السجع ، ويبلغ مذهبه في هذا غاية التهافت حين يقول : والذين يقولون إنه سجع ، فهو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع ، وإن لم يكن سجعا [٥] .

٨ــ لا سبب للفصل بين الفاصلة والسجع ، فالفاصلة أو السجعة في القرآن تؤدي دورها تماما ، كما تؤديه في غيره من الكلام الفني الجميل .

٩ــ اتفاق الكل على أن " موسي" أفضل من "هـارون" عليهمـا السلام ، ولمكان السجع قيل في موضع "هـارون وموسـي" ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بـالواو والنـون ، قيـل "موسي وهارون" [٦] .

ثم أي إعجاز في أن يقال مرة " موسي وهارون" ومـرة أخري "هارون وموسي" ما لم يكن وراء ذلك تحقيـق لغايـة أو اعتبار لمعنى ، أو تجميل لصورة؟ أما المعنـى فإنـه لا يتغيـر بتقديم أحد المتعاطفين أو تأخيره إذا كان العطف بحرف "الـواو" التي يتساوي معها المتقدم والمتأخر ، ولا يبقي الأمر كذلك إلا أن يكون التخالف في التعبيرين لتحقيق السجع الذي هو تحقيق لموقع المقطع في السجع، ومجيئه متحدا متوافقا مع ما قبله وما بعـده ، غير ناشز ولا خارج عن سياق المقطع جملة [٧] .

فالمثبتون للسجع في القرآن ــ أبوهلال ــ ابن سـنان ــ ابن الأثير ــ يعتمدون على ما يجدونه فيه من اتحاد في المقاطع،

(١) المرجع السابق والنوع والجزء والصفحة .
(٢) الجناس : نوعان : تام ، وغير تام ، فالتام : هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة : هي : نوع الحروف ، وشكلها ، وعددها ، وترتيبها ، وغير التام : هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص ٣١٩ .
(٣) الإلتفات : التعبير عن معنى ما بإحدي طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر من هذه الطرق وذلك على خلاف ما يترقبه السامع ويقتضيه السياق البلاغة فنونها وأفنانها ص ٢٣٩
(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٢ .
(٥) المرجع السابق والصفحة .
(٦) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٢ .
(٧) انظر الفاصلة في القرآن محمد الحسناوي ص ١١٥ .

ومع ذلك فهو في القرآن أعلى من كلام البشـر ، ولـيس علـى شاكلته كلام آخر .

وعلى ضوء ما تقدم نري أن هناك خلافا بين الرمـاني ، والباقلاني ، ومن تبعهم من جهة ، وبين أبي هلال ، وابن سنان، وابن الأثير ، ومن تبعهم في وجهة نظرهم من جهـة أخـري ، هؤلاء يقولون في السجع : إنه اتحدت فيه ألفاظ المقاطع ، سواء أكان المعنى هو المقصود ، وجاء الاتحاد تحسينا للقول ، أم كان المقصد هو اللفظ واتحاد ألفاظ المقاطع هو المقصود ، وفي الأول يكون السجع محمودا ، وفي الثاني لا يكون لائقا بالقرآن الكريم.

أما الرماني ، والباقلاني ، وبقيـة الأشـاعرة ، فـإنهم لا يرون السجع إلا في هذه الصورة القائمة من صور البيان التـي فيها يكون اللفظ مقدما على المعنى.

فإذن هذا الاختلاف قائم على الاختلاف فـي الاصـطلاح على تسمية السجع، فمن يفسره بأنه : الاتحاد في حروف المقاطع من غير أن يكون المعنى تابعا للفـظ ، يحكـم بـأن القـرآن الكريم فيه سجع ، لكنه فوق قدرة البشر ، ومـن يقـول : بـأن السجع كالشعر يكون المعنى فيه تابعا لأوزان القافيـة ، يكـون القرآن منزها عنه [١] .

أقول : إن الذين نفوا السجع من القرآن كانوا أكثر توفيقـا في توضيح مباينة النظم القرآني لأساليب البشر.

وصفوة القول : هو تسمية نهاية كل آيـة فاصـلة ، وإن انتهت آيات السور بحروف متماثلة ، فالسجع لا يصح أن يطلـق على نهاية الآيات ، وإن انتهت بحروف متماثلة ، فقد نزه سبحانه كتابه من الشعر ، والسجع من صفات الشعر المتفـق القافيـة ، ويمتنع استعمال القافية في كلام الله تعالي ، لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضا عنه لأنها منـه ، وكمـا يمتنع استعمال القافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله، فلا تتعداه.

(١) انظر الفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص ١٦ .

أقسام الفواصل

قسم علماء البلاغة الفواصل من حيث : الاتفاق والاختلاف في حرف الروي ، والوزن الذي تكون عليه نهاية الكلمة إلى ثلاثة أقسام :

١ــ المتوازي ٢ــ المطرف ٣ــ المتوازن .

ولكل قسم تعريف خاص به ، وأمثلة تدل عليه .

١ــ المتوازي ــ وهو أشرفها ــ وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف الروي[١] .

كقوله تعالى (فيها سرر مرفوعة .وأكواب موضوعة)[٢]

وقوله تعالى (ويعلمه الحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا إلى بني إسرائيل)[٣]

٢ــ المطرف : وهو أن تتفق الكلمتان في حرف الروي لا في الوزن[٤] .

نحو قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا)[٥]

وقوله تعالى(ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا)[٦]

٣ــ المتوازن:وهو أن يراعي في مقاطع الكلام الوزن فقط[٧] .

كقوله تعالى (ونمارق مصفوفة . وزرابى مبثوثة)[٨]، وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا . إنهم يرونه بعيدا . ونراه قريبا . يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن)[٩]، وقوله تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم)[١٠] .فلفظ (الكتاب) ، و (الصراط) متوازنان ، ولفظ (المستبين) ، و (المستقيم) متوازنان .

---

(١) البرهان ـ النوع الثالث ٧٥/١ ، وانظر الإتقان ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٨/٢ ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص ٣٢٦ .
(٢) سورة الغاشية : آية ١٣ ـ ١٤ .
(٣) سورة آل عمران : آية ٤٨ ـ ٤٩ .
(٤) البرهان ـ النوع الثالث ٧٦/١ ، الإتقان ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٨/٢ ، جواهر البلاغة ص ٣٢٦
(٥) سورة نوح : آية ١٢ ـ ١٣ .
(٦) سورة النبأ : آية ٦ ـ ٧ .
(٧) البرهان ـ النوع الثالث ٧٦/١ ، الإتقان ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٨/٢ .
(٨) سورة الغاشية : آية ١٥ ـ ١٦ .
(٩) سورة المعارج : آية ٥ ـ ٩ .
(١٠) سورة الصافات : آية ١١٧ ـ ١١٨ .

وقوله تعالى (كلا إنها لظى . نزاعة للشوى. تدعوا من أدبر وتولى. وجمع فأوعى)[١] .

وقد تكرر المتوازن في سبع آيات متواصلة ، في قوله تعالى (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب . يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد . الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز . من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب . أم لهم شركاؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم . ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير)[٢] .

فجميع فواصلها بين (شديد ، قريب ، بعيد ، عزيز ، نصيب ، أليم ، كبير) على هذا الترتيب . وهذا النوع في القرآن كثير ، وفي المفصل خاصة في قصاره.

* * *

---

(١) سورة المعارج : آية ١٥ ـ ١٨ .
(٢) سورة الشوري : آية ١٦ ـ ٢٢ .

خروج نظم الآية عن المألوف بسبب الفاصلة

الفاصلة لها أثر في نسق الكلام ، واعتدال المقاطع ، وتجعل موقعه حسنا في النفوس ، ولهذا الأثر الفعال الذي تتركه الفاصلة في النفوس ، قد يعدل نظم الكلام في القرآن وتخرج الآية عن المعتاد والمألوف بسببها ومن ذلك :

١ــ زيادة حرف (الألف، وهاء السكت، ولعل) لأجل الفاصلة[١] .

فزيادة الألف ، كقوله تعالي (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)[٢] .

فقد ألحقت (الألف) بـ (الظنون) ، لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف ، فزيد على النون ألف لتتساوى المقاطع ، وتتناسب نهايات الفواصل .

ومثله قوله تعالي (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)[٣] .

وزيادة هاء السكت في (ما هيه) في قوله تعالي (وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية)[٤] .

ومثلها الهاء في (كتابيه) و (حسابيه) في قوله تعالي (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسابيه)[٥] .

فهذه الهاء التي زيدت في (ما هيه) في آية القارعة ، وفي (كتابيه ، وحسابيه) في آيات الحاقة ، عدلت مقاطع الفواصل في سورتي القارعة والحاقة، وكان للحاقها تأثير عظيم في الفصاحة ، ووقع لطيف على مجرى السمع.

وأما زيادة (لعل) فكقوله تعالي (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات

(١) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٦١/١ .
(٢) سورة الأحزاب : ١٠ .
(٣) سورة الأحزاب : آية ٦٦ ـ ٦٧ .
(٤) سورة القارعة : آية ١٩ ـ ٢٠ .
(٥) سورة الحاقة : آية ١٩ ـ ٢٠ .

خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون)[١] .

فقد كرر (لعل) مراعاة لفواصل الآيات ، إذ لو جاء على الأصل لقال (لعلي أرجع إلى الناس فيعلموا) بحذف النون على الجواب[٢] .

٢ــ الجمع بين المجرورات :[٣] .

وذلك كقوله تعالي (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخري فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا)[٤] .

فقد توالت المجرورات بالأحرف الثلاثة وهي : اللام في (لكم) ، والباء في (به) ، و على في (علينا) ، وكان الأحسن الفصل بينها ، لكن التعبير القرآني فضل ترك الفصل بين تلك الروابط ، لأن فواصل السورة كلها منصوبة منونة ، فلم يكن بد من تأخير كلمة (تبيعا) لتكون هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها وما بعدها حتى تتناسق السور كلها على صورة واحدة ، وإيقاع واحد.

٣ــ حذف همزة أو حرف اطرادا :[٥] .

أما حذف الهمزة ، فكقوله تعالي (وإذا تتلي عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا)[٦] .

فقد قرئت (رئيا) على خمسة أوجه :

أ ــ رئيا ــ وهو المنظر والهيئة ، فعل بمعنى مفعول من (رأيت) .

ب ــ ريئا ــ على القلب ، كقولهم (راء) في (رأي) .

ج ــ ريا ــ على قلب الهمزة ياء وإدغام الياء في الياء .

د ــ ريا ــ من الري ــ وهو النعمة ، من قولهم (ريان من النعيم) .

(١) سورة يوسف : آية ٤٦ .
(٢) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٦١/١ ـ ٦٢ ، وانظر الفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٦٢/١ .
(٤) سورة الإسراء : آية ٦٩ .
(٥) البرهان في علوم القرآن ـ النوع الثالث ٦٢/١ .
(٦) سورة مريم : آية ٧٣ ـ ٧٤ .

هـ ـ ريا ـ على حذف الهمزة رأسا [١] .

فهذه القراءات الثلاث الأخيرة ، قرئت على هذا الوضع لتتوافق المقاطع ، وتتناسب الفواصل .

كما حذفت (الياء) من (يسري) في قوله (والليل إذا يسر) [٢] ، وهي أصلية لرعاية الفاصلة ، ويحكى عن الأخفش أن المؤرج السدوسي سأله عن حذف الياء من (يسر) ، فقال : لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، ففعل ، فقال له " إن عادة العرب إذا عدلت بالشئ عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسري ، وإنما يسري فيه ، نقص منه حرف ، كما في قوله تعالي (وما كانت أمك بغيا) [٣] ، والأصل (بغية) فلما حول ونقل عن فاعل نقص منه حرف " [٤].

٤ـ تأخير ما أصله أن يقدم : [٥]

كقوله تعالي (فأوجس في نفسه خيفة موسي) [٦] ، لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول ، أي : فأوجس موسي في نفسه خيفة ، لكن أخر الفاعل ، وهو (موسي) لأجل رعاية الفاصلة .

وكقوله تعالي (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى)[٧]، فإن قوله (وأجل مسمى) معطوف على (كلمة) ولهذا رفع ، والمعنى (ولولا كلمة سبقت من ربك) في التأخير (وأجل مسمى) لكان العذاب لزاما ، لكنه قدم وأخر لتشتبه رؤوس الآي [٨].

وجوز الزمخشري [٩] عطفه على الضمير في (لكان) أي لكان الأجل العاجل وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأجل العاجل.

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ٥٢١/٣ .
(٢) سورة الفجر : آية ٤ .
(٣) سورة مريم : آية ٢٨ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ١٠٧/٣ .
(٥) البرهان في علوم القرآن ١ / ٦٢ .
(٦) سورة طه : آية ٦٧ .
(٧) سورة طه : آية ١٢٩ .
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٦٩/٤ ، البرهان في علوم القرآن ٦٣/١ .
(٩) الكشاف ٥٥٨/٢ ـ ٥٥٩ .

ومنه قوله تعالي (ولقد جاء آل فرعون النذر) [١] ، فأخر الفاعل لأجل الفاصلة ، وقوله (ومما رزقناهم ينفقون) [٢] أخر الفعل عن المفعول فيها ، وقدمه فيما قبلها في قوله (يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) لتوافق رؤوس الآي .

قال الزركشي "وهو أجود من قول الزمخشري : قدم المفعول للاختصاص"[٣] .

٥ـ إفراد ما أصله أن يجمع : [٤]

وذلك كقوله تعالي (وكل شئ فعلوه في الزبر . وكل صغير وكبير مستطر . إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر) [٥].

قال الفراء : " الأصل (الأنهار) ، وإنما وحد لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي " [٦] .

وكقوله تعالي (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) [٧] ، والفواصل السابقة (موعدا ، أحدا ، بدلا) .

قال ابن سيدة : أي أعضادا ، وإنما أفرد ليعدل رؤوس الآيات بالإفراد ، والعضد : المعين [٨].

وإذا كانت (عضدا) هي الأليق من هذه الجملة ، ومن جهة الالتحام مع سائر الفواصل ، فإنها كذلك هي الأحكم من حيث المعنى ، لأن المضلين جميعا هم من الهوان والعجز في الموضع الذي يستغني الخلاق العليم عن معونتهم ، واحدهم في ذلك كجميعهم ، وجميعهم كواحدهم .

٦ـ جمع ما أصله أن يفرد ، كقوله تعالي (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل

(١) سورة القمر : آية ٤١ .
(٢) سورة البقرة : آية ٣ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ٦٣/١ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٣ .
(٥) سورة القمر : آية ٥٢ ـ ٥٥ .
(٦) معاني القرآن للفراء : ٨٧/٣ ، البرهان في علوم القرآن ٦٣/١ ـ ٦٤ .
(٧) سورة الكهف : آية ٥١ .
(٨) المحكم ٢٤١/١ ، نقلا عن البرهان في علوم القرآن ٦٤/١ .

أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) [١]، والفواصل السابقة (البوار ، القرار ، النار) .

قال الزركشي : " فإن المراد (ولا خلة) بدليل الآية الأخرى [٢] ، لكن جمعه لأجل مناسبة رؤوس الآي " [٣] .

ونحن ننفي أن يكون المراد (ولا خلة) بل المراد (ولا خلال) لأن ورودها بصيغة المفرد في آية لا يعني ضرورة أن تأتي بهذه الصيغة في آية أخرى .

وفي وسعي أن أثبت هنا ــ أن الأصل في آية سورة إبراهيم (ولا خلال) ــ والحديث هنا : من حيث المعنى ، بالطبع ــ وفي آية سورة البقرة (ولا خلة) ، والخلة هي المودة والصداقة ، فآية الجمع ــ ولا خلال ــ جاءت في سياق الأمر بإقامة الصلاة ، والإنفاق مما رزقهم الله ، سرا ، وعلانية ، قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا تنفع فيه المودات والصداقات ، وبعض الناس ــ كما هو معلوم ــ يتهاون بأمر الصلاة في الدنيا ... ، وبعضهم ينفق مما رزقه الله على حال دون حال من السر أو العلانية بحسب الأغراض والنيات ، أو بحسب الظروف والأحوال ، كل هذا يناسبه (ولا خلال) .

أما الآية الثانية ــ آية سورة البقرة ــ فقد وردت في سياق واحد هو الأمر بالإنفاق ، دون ذكر كذلك لحالتي السر والعلن ، فقد يكون ناسبه لذلك الإفراد .... ثم إن هذه (الخلة) قد عطف عليها بالشفاعة ، فعاد الجمع الذي تحدث عنه الزركشي ، لأن الشفاعة أعلى من المودة والصداقة ، وهذا على مذهب من يرى في مثل هاتين الآيتين أن الجمع هو الأصل ، على عكس ما أشار إليه الزركشي ، ولا أصل هنا أو هناك سوى مراعاة النظم ، وملاحظة الدور الذي أدته الفاصلة في المكان الذي جاءت فيه من حيث إحكام المبنى والمعنى جميعا .

---

(١) سورة إبراهيم : آية ٣١ .

(٢) والآية الأخرى التي يشير إليها ـ الزركشي ـ قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون } سورة البقرة : آية ٢٥٤ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١ / ٦٤ .

٧ـ تثنية ما أصله أن يفرد : [١]

وذلك كقوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان . فبأي آلاء ربكما تكذبان) [٢] . قال الفراء " المراد بـ (الجنتان) في الآية تلك جنة واحدة ، كقوله تعالى (فإن الجنة هي المأوى) [٣] فثني لأجل الفاصلة"[٤] .

ونظير ذلك قوله تعالى (إذا انبعث أشقاها) [٥] فإنهما رجلان : قدار بن سالف وآخر معه [٦] ، ولم يقل أشقياها للفاصلة .

ثم إن الفراء قال : وهذا باب مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها، واستشهد بقول زهير :

ديار لها بالرقمتين [٧] كأنها مراجيع وشم [٨] في نواشر [٩] معصم (الرقمتان) مكانان ، والمراد مكان واحد ، وثني على عادة العرب في ذلك .

وقول الشريف المرتضى :

فقولا لأهل المكتين تحاشدوا وسيروا إلى آطام يثرب والنخل

أراد بـ (المكتين) مكة والمدينة ــ على التغليب ، أو المراد مكة فقط . وثنيت على عادة العرب في ذلك .

قال الفراء : " وأشير بذلك إلى نواحيها ، أو للإشعار بأن لها وجهين ، وأنك إذا وصلتها ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت في كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة " [١٠] ، فقد ثنيت (جنتان) وأفردت (أشقاها) لأجل الفاصلة ، رعاية للتي قبلها ، والتي بعدها ، إذ هي على هذا الوزن ، والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله بقية الكلام .

قال الزركشي : وأنكر ذلك ابن قتيبة عليه ــ أي على الفراء ــ وأغلظ ــ قلت : وحق له ذلك ــ وقال " إنما يجوز في

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٦٤/١ .

(٢) سورة الرحمن : آية ٤٦ ـ ٤٩ .

(٣) سورة النازعات : آية ٤١ .

(٤) معاني القرآن ١٠٥/٣ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٧٧/٢ .

(٥) سورة الشمس : آية ١٢ .

(٦) انظر روح المعاني للألوسي ١٤٥/٣٠ ، مفاتيح الغيب ٤٤٣/١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٢٠/١٠ .

(٧) الرقمتان : مكانان إحداهما قرب المدينة ، والآخر قرب البصرة لسان العرب ١٧١٠/٣ .

(٨) الوشم : أن ينقب ظاهر الذراع بإبرة ثم يحشي بالكحل ليخضر لسان العرب ٤٨٤٥/٦ .

(٩) النواشر : عروق ظاهر الذراع ، وقيل : الظاهر والباطن لسان العرب ٤٤٢٣/٦ .

(١٠) معاني القرآن ١٠٦/٣ ، البرهان في علوم القرآن ٦٤/١ .

رؤوس الآية زيادة هاء السكت ، أو الألف أو حذف همزة [١] ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي فمعاذ الله ، وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين، قال (ذواتا أفنان) [٢] ثم قال فيهما (فيهما عينان تجريان) [٣] .

ثم قال ابن قتيبة في تعقيب أخير لطيف : " ولو أن قائلا قال في خزنة النار: إنهم عشرون ، وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هذا القول إلا كقول الفراء " [٤] .

٨ـ تأنيث ما أصله أن يذكر :

وذلك كقوله تعالي : (كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة . بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة . كلا بل لا يخافون الآخرة . كلا إنه تذكرة . فمن شاء ذكره . وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) [٥] .

ويقول تعالي : (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما . يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) [٦] .

اختلفت الفواصل في هذين الموضعين لملاءمة الفواصل في كل من السورتين ، فلما كانت الآيات في سورة المدثر فواصلها (هاء) كما في (مستنفره ، قسوره ، منشره ، تذكره ، ذكره) عادت (الهاء) في (ذكره) وهو ضمير مذكر إلى مؤنث ـ وهي التذكرة ـ إذ هو بمعناها فكلاهما مصدر (تقول : ذكرت تذكيرا وتذكره ، مثل قدمت تقديما وتقدمه) فكان هذا التعديل في نهاية الكلمة لتتعادل الفواصل .

وأما (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) ، وإن كان بمعنى (فمن شاء ذكره) لكنه عدل إلى قوله (اتخذ إلى ربه سبيلا) للتوفيق بين الفواصل في هذه السورة ، إذ كانت مرادفة بياء أو واو ، ومنقطعة بالألف ، فحصل بالمكانين اتفاق المعنيين، مع ملاءمة الفواصل في الموضعين .

---

(١) اي فيما يجوز مثله في سائر الكلام .
(٢) سورة الرحمن : آية ٤٨ .
(٣) سورة الرحمن : آية ٥٠ .
(٤) البرهان في علوم القرآن : ٦٥/١ .
(٥) سورة المدثر : آية ٥٠ـ٥٦ .
(٦) سورة الإنسان : آية ٢٩ـ٣٠ .

فالعتبير المألوف الذي يجب أن يكون عليه في الآية الأولى (كلا إنه تذكير . فمن شاء ذكره) ، أي من شاء انتفع فيكون ذاكرا له ، وإذا لم ينتفع به فيكون كالناسي له ، وإذا جاء على هذه الصورة عاد الضمير في (ذكره) على العائد المذكر (تذكير) على المألوف والمعتاد .

لكن التعبير القرآني آثر أن يؤنث ما أصله أن يذكر ، وأن يبدل (تذكره) بـ (تذكير) ، وهما بمعنى واحد ، تعديلا للمقاطع ، وتناسبا من أجل الفواصل .

كذلك (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) هي بمعنى (فمن شاء ذكره) وكانت في مكان بفاصلة ، وفي آخر بفاصلة ، تبعا للفاصلة الموجودة في كلتا السورتين ، ومراعاة للتناسب في كلا الموضعين [١] .

٩ـ اختلاف الترتيب :

يحكي تعالى قصص الأولين للعبرة والعظة ، فيقول (وعاد وفرعون ذو الأوتاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) [٢] .

ويقول تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود . وعاد وفرعون وإخوان لوط . وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) [٣] .

فما السبب في اختلاف الترتيب في هاتين الآيتين ؟ ولماذا ختمت الآية الأولى في سورة ص (فحق عقاب) ، والثانية في سورة ق بـ (فحق وعيد) ، والمعنى في السورتين يكاد يكون واحدا ؟ .

السبب في ذلك : أن سورة (ق) مبنية فواصلها على أن يردف آخر حرف منها بالياء أو بالواو ، وعلى ذلك جاءت جميع آياتها (ثمود ، لوط ، وعيد...) .

وسورة (ص) بنيت فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف ، ولذلك كانت فواصل هذه السورة كلها من الآية الثانية إلى الآية السادسة والستين ، أواخرها تردف بألف ، مثل (شقاق، مناص ، عجاب) ، فجاءت هذه الآيات بين هذه

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ٦٥/١ ، درة التنزيل وغرة التأويل ص ٥٠٧ ، الفاصلة القرآنية ص ٢٥ـ٢٧ .
(٢) سورة ص : آية ١٢ـ١٤ .
(٣) سورة ق : آية ١٢ـ ١٤ .

الفواصل ، على الفاصلة ذاتها (ذو الأوتاد ، الأحزاب ، عقاب) ولهذا اختلفت الآيات في فواصلها في سورتي (ص ، ق) فكل فاصلة كانت متفقة مع فاصلة سورتها .

وأما اختلاف الترتيب فواضح ، ففي آيات (ص) ذكر ستة أقوام [١] ، وفي آيات (ق) ذكرت ثمانية [٢] ، فهم ستة مكررة في كلتا الآيتين ، ولم يقع أحد منهم في ترتيب الآخر سوى (قوم نوح) فقد كان في صدر الآيتين .

والسبب في اختلاف هذا الترتيب هو الحفاظ الكامل على فاصلة كل آية مع فواصل سورتها ، ولم يعمل بقانون الترتيب في الآيات مراعاة لفواصل كل سورة [٣] .

* * *

(١) قوم نوح ، وعاد ، وفرعون ذو الأوتاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة .

(٢) قوم نوح ، وأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون ، وإخوان لوط ، وأصحاب الأيكة ، وقوم تبع .

(٣) انظر الفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص ٣٤ ـ ٣٥ .

الفاصلة المتماثلة والمتقاربة والمنفردة

ـ

١ـ الفاصلة المتماثلة :

وتسمى كذلك المتجانسة ، أو ذات المناسبة التامة [١] .

ويقصد بها أن تنتهي الآيات بحرف واحد كالراء ، أو الميم ، أو النون ، أو السين ، مثال ذلك :

قوله تعالى (والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور) [٢] .

فهذه الآيات انتهت بحرف واحد وهو الراء ، فهي متماثلة الفواصل .

وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول) [٣] .

فهذه الآيات انتهت بحرف واحد وهو اللام ، فهي متماثلة الفواصل .

ومن الآيات التي تماثلت فواصلها بحرف القاف . قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق) [٤] .

وقد تتفق الفاصلتان في حرف أو أكثر قبل الروي ، من غير كلفة ولا قلق، بل تنساب في لين وجمال وسلاسة .

مثال التزام حرف ـ أي قبل الحرف الأخير ـ قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك) [٥] .

وقوله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر) [٦]

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ٧٢/١ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٨/٢، بصائر ذوي التمييز ٧٠/١ ، الفاصلة في القرآن ص ١٤٥ .

(٢) سورة الطور : آية ١ ـ ٤ .

(٣) سورة الفيل : آية ١ ـ ٥ .

(٤) سورة الإنشقاق : آية ١٦ ـ ١٩ .

(٥) سورة الشرح : آية ١ ـ ٤ .

(٦) سورة الضحى : آية ٩ ـ ١٠ .

مثال ما اتفقا في حرفين ، قوله تعالى (وقيل من راق ٠ وظن أنه الفراق) [١] ، وقوله تعالى (والطور ٠ وكتاب مسطور) [٢] ٠

ومثال التزام ثلاثة أحرف ، قوله تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ٠ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) [٣] ٠

٢ــ أما الفاصلة المتقاربة : وتسمى ذات المناسبة غير التامة ــ وهي التي يكون بين حروف الكلمات تقارب في المخرج كالدال والباء ، مخارجهما متقاربة، ولا نفرة بينهما في النطق [٤] ٠

مثال ذلك :

قوله تعالى (الرحمن الرحيم ٠ مالك يوم الدين) [٥] ٠

فهنا تقارب بين حرفي الميم مع النون ٠

ومثلها ما جاء في قوله تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين ٠ فذلك الذي يدع اليتيم) [٦] ٠

وقوله تعالى (ق والقرآن المجيد ٠ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب) [٧] ٠

فهنا تقارب بين حرفي الدال مع الباء٠

ومن الآيات التي تقاربت فواصلها في حرفي الراء مع الميم ، قوله تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ٠ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم) [٨] ٠

وهذان النوعان غالبان على الفواصل ٠

---

(١) سورة القيامة : آية ٢٧ ـ ٢٨ ٠
(٢) سورة الطور : آية ١ ـ ٢ ٠
(٣) سورة الأعراف : آية ٢٠١ ـ ٢٠٢ ٠
(٤) انظر البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٤ ـ ٧٥ ، الفاصلة في القرآن ص ١٤٦ ، الفاصلة القرآنية ص ٩ ٠
(٥) سورة الفاتحة : آية ٢ ـ ٣ ٠
(٦) سورة الماعون : آية ١ ـ ٢ ٠
(٧) سورة ق : آية ١ ـ ٢ ٠
(٨) سورة الملك : آية ٢١ ـ ٢٢ ٠

٣ــ الفاصلة المنفردة :

الفاصلة المنفردة ــ وهي نادرة ــ وهي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب ، كالفاصلة التي ختمت بها سورة الضحى المكية [١] ٠

يقول تعالى (والضحى ٠ والليل إذا سجى ٠ ما ودعك ربك وما قلى ٠ وللآخرة خير لك من الأولى ٠ ولسوف يعطيك ربك فترضى٠ ألم يجدك يتيما فآوى ٠ ووجدك ضالا فهدى ٠ ووجدك عائلا فأغنى٠ فأما اليتيم فلا تقهر ٠ وأما السائل فلا تنهر ٠ وأما بنعمة ربك فحدث) [٢] ٠

ومثلها الفاصلة التي ختمت بها سورة المسد ، يقول تعالى (تبت يدا أبي لهب وتب٠ ما أغنى عنه ماله وما كسب ٠ سيصلى نارا ذات لهب٠ وامرأته حمالة الحطب ٠ في جيدها حبل من مسد) [٣] ٠

علاقة الفاصلة بما قبلها :

للفاصلة علاقة وثيقة بما قبلها من النص القرآني في الآية، وقد يشير سياق الآية إلى فاصلتها إشارة لفظية جلية ، وقد يظهر ذلك بعد بحث وتأمل٠

وقد أطلق عليها القدماء (ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام) ٠

قال الزركشي " اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشئ فيها بما يشاكله ، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب" [٤] ٠

وعلاقة الفاصلة بما قبلها تنحصر في أربعة أشياء ، وهي ما سماه البلاغيون : بالتمكين ، والتصدير ، والتوشيح ، والإيغال٠

---

(١) من بلاغة القرآن ص ٨٨ ، الفاصلة في القرآن محمد السناوي ص ١٤٨ ٠
(٢) سورة الضحى : آية ١ ـ ١١ ٠
(٣) سورة المسد : آية ١ ـ ٥ ٠
(٤) البرهان في علوم القرآن ٧٨/١ ٠

الأول : التمكين : وهو أن يمهد للفاصلة قبلها تمهيدا تأتي به ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت الفاصلة جانبا لاختل المعنى، واضطرب الفهم[١] . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)[٢] .

فلو انتهت الآية عند قوله (وكفى الله المؤمنين القتال) لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم خائبين ، ولم يبلغوا ما أرادوا ، وأن ذلك أمر اتفاقي ، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ، ويزيدهم يقينا وإيمانا على أنه الغالب الممتنع ، وأن حزبه كذلك ، وأن تلك الريح التي هبت ليست اتفاقا ، بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته ، وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانا، وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر، وتارة بالريح كيوم الأحزاب ، وتارة بالرعب كبني النضير، وطورا ينصر عليهم كيوم أحد ، تعريفا لهم أن الكثرة لا تغنى شيئا، وأن النصر من عنده ، كيوم حنين[٣] .

ومن التمكين في الفاصلة أيضا قوله تعالى (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون . أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)[٤] .

يقول الزركشي : " فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية (أو لم يهد لهم) ولم يقل (أو لم يروا) وقال بعد ذكر الموعظة (أفلا يسمعون) ، لأنه تقدم ذكر أخبار القرون وهو من الأخبار المسموعة ، وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية (أو لم يروا) وقال بعدها (أفلا يبصرون) لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز[٥] مرئي "[٦] .

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ٧٩/١ ، الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٧٩/٢، الفاصلة في القرآن ص ٢٨٦ .
(٢) سورة الأحزاب : آية ٢٥ .
(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ٧٩/١ ، الفاصلة في القرآن ص ٢٨٦ .
(٤) سورة السجدة : آية ٢٦ - ٢٧ .
(٥) الجرز بالضم : هي الأرض التي لا تنبت ، كأنها تأكل النبت أكلا ، وقيل : هي التي قد أكل نباتها ، وقيل : هي الأرض التي لم يصبها مطر لسان العرب ٥٩٦/١ ، المعجم الوسيط ١١٧/١ .
(٦) البرهان في علوم القرآن ٨٠/١ .

كذلك من الآيات التي يظهر فيها هذا النوع ، قوله تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون)[١] .

يقول الزركشي : " لما كان سبحانه هو جاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمدا[٢] إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير، وظرف الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لا سيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار النهار كأنه معدوم ، إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والليل كأنه لا موجود سواه، إذ جعل سرمدا منسوبا إليه سبحانه ، فاقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تسمعون) لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ، ولا يصلح للإبصار .

وكذلك قال في الآية التي تليها (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)[٣] ، لأنه لما أضاف جعل النهار سرمدا إليه صار النهار كأنه سرمد، وهو ظرف مضئ تنور فيه الأبصار ، وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ، إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والنهار كأنه لا موجود سواه ، إذ جعل وجوده سرمدا منسوبا إليه ، فاقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تبصرون) إذ الظرف مضئ صالح للإبصار ، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية"[٤] .

ومنه قوله تعالى : (إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون)[٥] .

يقول الزركشي في مناسبة الفاصلة لكل آية " فإن البلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى (للمؤمنين) ، لأنه سبحانه

---

(١) سورة القصص : آية ٧١ .
(٢) السرمد : دوام الزمان من ليل أو نهار ، وليل سرمد : طويل ، والسرمد الدائم في اللغة لسان العرب ٢٠٠٠/٣ .
(٣) سورة القصص : آية ٧٢ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ٨٢/١ .
(٥) سورة الجاثية : آية ٣ - ٥ .

ذكر العالم بجملته حيث قال (السموات والأرض) ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أن المخترع له قادر عليم حكيم ، وإن دل على وجود صانع مختار لدلالتها على صفاته مرتبة على دلالتها على ذاته ، فلابد أولا من التصديق بذاته ، حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته ، لتقدم الموصوف وجودا واعتقادا على الصفات ، وكذلك قوله في الآية الثانية (لقوم يوقنون) فإن سر الإنسان وتدبر خلقة الحيوان أقرب إليه من الأول، وتفكره في ذلك مما يزيده يقينا في معتقده الأول، وكذلك معرفة جزئيات العالم ، من اختلاف الليل والنهار وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح يقتضي رجاحة العقل ورصانته ، لنعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع العالم الكلي التي هي أجرامه وعوارض عنه ، ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضا ، فقد قام البرهان على أن للعالم الكلي صانعا مختارا، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة (لقوم يعقلون) ، وإن احتيج إلى العقل في الجميع ، إلا أن ذكره ها هنا أنسب بالمعنى الأول ، إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال : إن بعض هذه الآثار يصنع بعضا ، فلابد إذا من التدبر بدقيق الفكر وراجح العقل " [١].

ومن أراد مزيدا لذلك فليرجع إلى كتاب البرهان [٢] للزركشي ، والإتقان للسيوطي [٣].

الثاني : التصدير :

أن تكون تلك الكلمة أو (اللفظة) قد تقدمت مادتها في الآية .

وسمى ذلك البلاغيون المتقدمون : رد العجز على الصدر .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٨٢/١ ـ ٨٣ .
(٢) المرجع السابق ٨٧/١ ـ ٨٤ .
(٣) الإتقان ـ النوع التاسع والخمسون ٢٧٩/٢ ـ ٢٨٢ .

ومن الآيات القرآنية التي يظهر فيها هذا النوع ، قوله تعالى (لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) [١] .

وقوله تعالى : (خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون) [٢].

وقوله تعالى : (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [٣].

وقوله تعالى : (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) [٤].

وقوله تعالى : (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) [٥].

يقول الزركشي : " فجعل الفاصلة (يزرون) لجناس (أوزارهم) ، وإنما قال (على ظهورهم) ولم يقل (على رؤوسهم) لأن الظهر أقوى للحمل ، فأشار إلى ثقل الأوزار"[٦].

وفي ذلك وشبهه ما يدل على التحام الفاصلة بالآية التحاما تاما كما هو واضح.

وقال ابن المعتز [٧] : هو ثلاثة أقسام :

الأول : توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة في الصدر ، نحو (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) [٨] .

والثاني : أن يوافق أول كلمة منه ، نحو (وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) [٩] .

الثالث : أن يوافق بعض كلماته ، نحو (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون) [١٠] .

ويلاحظ هنا بعض المفسرين والبلاغيين أن الآية القرآنية تهيئ في بعض الأحيان لفاصلة بعينها ، ولكن سرعان ما تجد

---

(١) سورة طه : آية ٦١ .
(٢) سورة الأنبياء : آية ٣٧ .
(٣) سورة التوبة : آية ٧٠ .
(٤) سورة يونس : آية ١٩ .
(٥) سورة الأنعام : آية ٣١ .
(٦) البرهان في علوم القرآن : ٩٤/١ .
(٧) الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٦/٢ ـ ٢٨٧ .
(٨) سورة النساء : آية ١٦٦ .
(٩) سورة آل عمران : آية ٨ .
(١٠) سورة الأنعام : آية ١٠ .

لآية قد ختمت بغيرها ، يأتي القرآن الكريم بغير تلك الفاصلة إيثارا لما هو ألصق بالمعنى ، وأشد وفاء بالمراد، قال الله تعالى : (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذونا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) [١].

فقد يقع في النفس أن تأتي الفاصلة يستعيذ فيها موسى – عليه السلام – من أن يكون من المستهزئين ، ولكنها جاءت تبرؤا من الجهل ، وفي ذلك إشارة إلى أن الاستهزاء بالناس جهل وسفه ، لا يليق أن يصدر من عاقل صاحب خلق ودين ، بالإضافة إلى أن الفواصل السابقة هي (الخاسرين ، خاسئين ، للمتقين).

الثالث : التوشيح :

هو أن يكون معنى الآية مشيرا إلى هذه الفاصلة [٢].

وسماه ابن وكيع المطمع، لأن صدره مطمع في عجزه [٣] كقوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) [٤].

فإن معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة ، إذ المذكورين نوع من جنس العالمين .

ومثلوا له كذلك بقوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون)[٥]، فإنه من كان حافظا لهذه السورة ، متيقظا إلى أن مقاطع فواصلها النون المردوفة ، وسمع في صدر هذه الآية (وآية لهم الليل نسلخ منها النهار) علم أن الفاصلة (مظلمون) فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال [٦].

(١) سورة البقرة : آية ٦٧ .
(٢) البرهان في علوم القرآن ٩٥/١ ، الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٧/٢ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ٩٥/١ .
(٤) سورة آل عمران : آية ٣٣ .
(٥) سورة يس : آية ٣٧ .
(٦) البرهان في علوم القرآن ٩٥/١ ، الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٧/٢ .

ومن التوشيح قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[١].

وهذا النوع قريب من التصدير ، والفارق بينهما : أن دلالة التوشيح : معنوية ، ودلالة التصدير : لفظية ، أما التمكين : ففي الآية تمهيد له ، فتأتي الفاصلة متممة لمعنى الآية .

الرابع : الإيغال :

أن ترد الآية بمعنى تام ، وتأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى [٢].

وسمي به ، لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد ، يقال : أوغل في الأرض الفلانية، إذا بلغ منتهاها ، فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه ، فقد أوغل [٣].

ومن الآيات التي يظهر فيها معنى الإيغال ، قوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[٤].

فإن الكلام تم بقوله (ومن أحسن من الله حكما) ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ، فلما أتى بها أفاد معنى زائدا.

ومنه قوله تعالى (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين)[٥].

يقول الزركشي " فإن المعنى قد تم عند قوله (ولا تسمع الصم الدعاء) ثم أراد أن يعلمنا تمام الكلام بالفاصلة فقال (إذا ولوا مدبرين) ، فإن قيل : ما معنى (مدبرين) وقد أغنى عنها (ولوا) ؟ قلت : لا يغنى عنها (ولوا) ، فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب ، بدليل قوله (أعرض ونأى بجانبه) [٦] ، ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون ، أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفي عنهم الفهم

(١) سورة الملك : آية ١٣ - ١٤ .
(٢) الفاصلة القرآنية : ص ٤٢ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن - النوع السادس والخمسون ٢٠٤/٢ .
(٤) سورة المائدة : آية ٥٠ .
(٥) سورة النمل : آية ٨٠ .
(٦) سورة الإسراء : آية ٨٣ .

الذي يحصل من الإشارة ، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة .

ثم إن التولي قد يكون بجانب مع لحاظه بالجانب الآخر ، فيحصل له إدراك بعض الإشارة ، فجعل الفاصلة (مدبرين) ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب ، بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبرا ، فاحتجب المخاطب عن المخاطب ، أو صار من ورائه فخفيت عن عينه الإشارة ، كما صم أذناه عن العبارة ، فحصلت المبالغة من عدم الإسماع بالكلية " [١] .

ومنه قوله تعالى (يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) [٢] ، فقوله (وهم مهتدون) إيغال لأنه يتم المعنى بدونه ، إذ الرسول مهتد لا محالة ، لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه[٣] .

* * *

أنواع الفواصل

إن الفواصل القرآنية متعددة الأنواع ، وذلك على حسب الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات ، فتختلف فواصل الآيات ، لاختلاف الموضوعات المتحدث عنها ، أو تختلف الفواصل مع أن الموضوع المتحدث عنه واحد .

وبلاغة هذا الاختلاف في أنواع الفواصل ، يظهر لنا الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم .

(١) البرهان في علوم القرآن : ٩٦/١ ـ ٩٧ .
(٢) سورة يس : آية ٢١ ـ ٢٢ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن ـ النوع السادس والخمسون ٢٠٤/٢ .

١ـ اختلاف الفاصلتين في موضع ، والمحدث عنه واحد :

أ ـ يقول تعالى (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) [١] .

وفي سورة النحل يسوق كثيرا من الآيات الدالة على ألوهيته ، ثم يختم هذه الآيات بقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) [٢] .

فما السبب في اختلاف هاتين الفاصلتين ، مع أن المتحدث عنه شئ واحد؟

ينقل صاحب البرهان عن القاضي ناصر الدين بن المنير فيقول عن اختلاف الفاصلتين (إن الإنسان لظلوم كفار) و (إن الله لغفور رحيم) .

" إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، ولي عند إعطائها وصفان : وهما: أني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني ، وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء " .

وهذا حسن ـ كما قال الزركشي ـ ولكن السؤال محل البحث : لماذا خصت آية سورة النحل بوصف المنعم ، وآية سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه؟ قال الزركشي : " والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه ، فناسب ذكر عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى ، وإثبات ألوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه ، قال : فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها في

(١) سورة إبراهيم : آية ٣٢ ـ ٣٤ .
(٢) سورة النحل : آية ١٨ .

درجة البلاغة " [١].

ويقول الغرناطي " للسائل أن يسأل لم أعقب في الأولى قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) بغير ما أعقب في الثانية ؟

والجواب عن ذلك ، والله أعلم : أن آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) [٢] ، ثم قوله (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله) [٣] ، ثم ذكر إنعامه على عباده في قوله (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه) [٤] ، فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه ودرور إحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل وجعل الأنداد وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار .

أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه عباده المؤمنين من متوالي آلائه وإحسانه ، وما ابتدأهم به من نعمه من لدن قوله (خلق الإنسان من نطفة) [٥] ، ثم توالت آيات الامتنان والإحسان فقال تعالى (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع) [٦] ، فذكر تعالى بضعا وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منبها وموقظا من الغفلة والنسيان (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) [٧] ،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٨٦/١ ، وانظر الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٣/٢ ، الفاصلة في القرآن ص ٢٨٩، من بلاغة القرآن ص ٨٤ .
(٢) سورة ابراهيم : آية ٢٨ .
(٣) سورة ابراهيم : آية ٣٠ .
(٤) سورة ابراهيم : آية ٣٢ ـ ٣٤
(٥) سورة النحل : آية ٤ .
(٦) سورة النحل : آية ٥ .
(٧) سورة النحل : آية ١٧ .

ثم أتبع بقوله سبحانه (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [١] ، فناسب ختام هذا قوله (إن الله لغفور رحيم) [٢] ، فجاء كل على ما يناسب ، والله أعلم " [٣] .

ب ـ يدلل الله تعالى على إمكان وقوع البعث ، وقدرته على إيجاد الخلق الثاني ، فيقول (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) ثم يختم هذه الآيات بقوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) [٤] .

ويقول تعالى في سورة فصلت (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ومن ربك بظلام للعبيد) [٥] .

فما السبب في اختلاف هاتين الفاصلتين ، مع أن المتحدث عنه شئ واحد؟

السبب في ذلك : أن آية الجاثية جاءت خاتمتها (ثم إلى ربكم ترجعون)، لأن قبل هذه الآية (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) ، فقد وصفهم الله في هذه الآية بإنكار البعث ، فناسب الختام بفاصلة تدل على البعث ، فقال (ثم إلى ربكم ترجعون) .

وأما الفاصلة الثانية (وما ربك بظلام للعبيد) فقد جاءت بعد ما يفيد أن الله تعالى لا يضيع عملا صالحا ، ولا يزيد على من عمل سيئا شيئا ، ولهذا كان الختام بهذه الفاصلة مناسبا [٦] .

ج ـ يقول تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) [٧] .

---

(١) سورة النحل : آية ١٨ .
(٢) سورة النحل : آية ١٨ .
(٣) ملاك التأويل ٧١٨/٢ ـ ٧٢٠ .
(٤) سورة الجاثية : آية ١٢ ـ ١٥ .
(٥) سورة فصلت : آية ٤٦ .
(٦) انظر البرهان في علوم القرآن ٨٦/١ ـ ٨٧ ، الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٣/٢ ـ ٢٨٤ ، الفاصلة القرآنية ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، من بلاغة القرآن ص ٨٤ .
(٧) سورة النساء : آية ٤٨ .

ويقول بعد ذلك في السورة نفسها وفي المعنى عينه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)[١].

فما السبب في اختلاف هاتين الفاصلتين ، مع أن المتحدث عنه شئ واحد؟.

السبب في ذلك : أن المتحدث عنه في الآية الأولى هم اليهود [٢] ، بدليل ما قبلها من الآيات (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) [٣] فقد افتروا على الله ما ليس في كتابه ، ولذلك فإثمهم كان عظيما ، وكان من المناسب أن تكون الفاصلة (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) .

أما الآية الثانية : فقد نزلت في المشركين [٤] ، بدليل السياق قبلها وبعدها، والمشركون لا كتاب لهم ، ولذلك كان غيهم أشد ، وضلالهم أبعد ، فكان من المناسب ختام هذه الآية بالفاصلة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)، وعلى هذا فقد ختمت كل آية بما يناسبها ، فوقعت الفاصلة موقعها ، وحلت محلها[٥] .

ويقول الغرناطي " للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف تعقيب الأولى بقوله (فقد افترى إثما عظيما) وتعقيب الثانية بقوله (فقد ضل ضلالا بعيدا) ؟

والجواب : إنه لما وقع قبل الآية الأولى ذكر أهل الكتاب وذكر اعتدائهم وتحريفهم من لدن قوله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) [٦] . ثم قال بعد هذا (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) [٧] ، وهذا إفصاح بكذبهم وافترائهم ، ثم أتبع ما ذكر بقوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) [٨] ، ناسب ما تقدم من أوصاف الشرك الافتراء الذي هو أخص صفات من كذب من أهل الكتاب مع أن المشرك مفتر ، فقال عز وجل

---

(١) سورة النساء : آية ١١٦ .
(٢) انظر مفاتيح الغيب ٢٤١/٩/٥ ، روح المعاني ٥١/٥ ، محاسن التأويل ١٢٨٧/٥ .
(٣) سورة النساء : آية ٤٦ .
(٤) انظر تفسير السمرقندي ٣٨٩/١ ، مفاتيح الغيب ١١٦/١٠/٥ ، الكشاف ٥٦٤/١ ، روح المعاني ١٤٨/٥ .
(٥) انظر البرهان في علوم القرآن ٨٧/١ ، الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٤/٢ ، من بلاغة القرآن ص ٨٤ .
(٦) سورة النساء : آية ٤٤ .
(٧) سورة النساء : آية ٤٦ .
(٨) سورة النساء : آية ٤٨ .

(ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) [١]، ولما لم يتقدم مثل ذلك في الآية الأخرى إنما تقدم قبلها قوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) [٢] ، وقبلها ما يخص منافقي أيام نبينا عليه السلام من لدن قوله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) [٣]، ثم قال (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) [٤] ، فلم يقع في هذه الآي ذكر تحريف ولا افتراء إنما ذكر منافقو أيامه عليه السلام بنفاقهم وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء ، فناسب ذلك ما بنى عليه من قوله سبحانه (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) ، كما ناسب قوله في الأولى (فقد افترى إثما عظيما) ما تقدمه وبني عليه، وجاء كل على ما يجب ، ولو أعقبت الأولى الثانية والثانية بما أعقبت به الأولى لما ناسب على ما تقدم ، والله أعلم " [٥].

٢ــ اختلاف الفواصل والمتحدث عنه مختلف :

تحدثنا في الصفات السابقة عن الفواصل التي اختلفت والمحدث عنه واحد، وتبين لنا أن كل فاصلة حلت محلها ، ووقعت موقعها ، وأنه لو تبدل إحداها مكان الأخرى لتبدل المعنى ، واختلف الغرض.

وهذا هو النوع الثاني من الفواصل التي اختلفت ، والمحدث عنه مختلف.

أ ــ يقول تعالى (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) [٦].

ويقول ــ أيضا ــ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) [٧].

فهاتان آيتان من سورتين مختلفتين ، وجاءت الفاصلة في الآية الأولى (بل أكثرهم لا يعقلون) ، وفي الثانية (بل أكثرهم لا يعلمون) ، فلماذا اختلفت الفاصلتان ، واختصت كل منهما بما اختصت به ؟ .

---

(١) سورة النساء : آية ٤٨ .
(٢) سورة النساء : آية ١١٥ .
(٣) سورة النساء : آية ١٠٥ .
(٤) سورة النساء : آية ١٠٧ .
(٥) ملاك التأويل : ٣٤٧/١ - ٣٤٨ .
(٦) سورة العنكبوت : آية ٦٣ .
(٧) سورة لقمان : آية ٢٥ .

المخاطبون ــ وهم المشركون ــ والموجه إليهم السؤال ، يقرون بأن الله تعالى هو الذي يحي الأرض بعد موتها ، ويخضرها بعد اغبرارها ، ومن يقدر على ذلك فهو قادر على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم ، لكنهم لغفلتهم لا يعقلون عن هذا الفعل المشاهد المحسوس ما يماثله تماما من البعث والنشور، لذلك كان من المناسب ختام الآية بالفاصلة (بل أكثرهم لا يعقلون) .

أما الآية الثانية : فالكفار يعلمون بأن الله وحده خالق السموات والأرض، ومع علمهم هذا ، يشركون معه آلهة أخرى، فكأنهم لا يعلمون ، وذلك أنهم إذا عبدوا الأصنام العبادة التي تحق لمن خلق السموات والأرض ــ بإقرارهم ــ فكأنهم لم يعلموا ما أقروا به ، لذلك كان من المناسب ، أن تختم الآية بالفاصلة (بل أكثرهم لا يعلمون) [1].

ب ــ ومن ذلك قوله تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [2].

أطلق العلماء على هذه الآيات الثلاث اسم (الوصايا العشر) نظرا لتذييل آياتها الثلاث بقول الله (ذلكم وصاكم به)، وفي هذه الآيات ثلاث فواصل ، فلماذا ختمت الأولى بالفاصلة (تعقلون) ، والثانية (تذكرون) ، والثالثة (تتقون) ؟ .

يقول السيوطي " ختمت الأولى بقوله (لعلكم تعقلون) ، والثانية بقوله (لعلكم تذكرون) ، والثالثة بقوله (لعلكم تتقون)، لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدم

(١) البرهان في علوم القرآن ٨٩/١ ، درة التنزيل وغرة التأويل ص ٣٦٠ ، الفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٥١ ـ ١٥٣ .

العقل الغالب على الهوى ، لأن الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته ، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق ، وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرازق الحي الكريم ، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل ، وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل فحسن بعد ذلك يعقلون ، وأما الثانية فتعلقها بالحقوق المالية والقولية ، فإن من علم أن له أيتاما يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يحب أن يعامل به أيتامه ، ومن يكل أو يزن أو يشهد لغيره ، لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة ولا يحسن ، وكذا من وعد لم يحب أن يخلف ، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله، فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله ، فلذلك ناسب الختم بقوله (لعلكم تذكرون) .

وأما الثالثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤد إلى غضبه وإلى عقابه، فحسن (لعلكم تتقون) أي عقاب الله بسببه"[1].

ويقول الغرناطي " للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف في المعلل به في هذه الآيات ؟ .

والجواب عن ذلك ، والله أعلم : أنه لما كانت الخلل الخمس في الآية الأولى وهي : الشرك والعقوق وقتل الأولاد لأجل الفقر وارتكاب الفواحش وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، خمستها مما يدرك العقل ابتداء قبحها ، ويستقل بدركها أعنى أن العقل يستوضح قبحها شرعا لبيان أمرها في استقباح الشرع إياها، وإلا فالعقل عندنا لا يحسن ولا يقبح ، فلما كانت على ما ذكرنا أتبعت بترجي التعقل لأن السلامة منها لا تكون مع وضوح أمرها إلا بتوفيق الله تعالى .

ولذلك جاءت بأداة الترجي، ولما كانت الخمس التالية

(١) الإتقان في علوم القرآن ـ النوع التاسع والخمسون ٢٨٢/٢ ، وانظر الفاصلة القرآنية ص ٩٦ ، ١١٥ .

لها وهي قوله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) [١] إلى آخرها مما تؤثر فيه الشهوات والأهواء ، وذلك مما يعمى ويصم ، أتبع برجاء التذكر ، فقيل (لعلكم تذكرون) ومن تذكر أبصر فعقل فامتنع ، قال تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) [٢] ، ولما كان مجموع هذه المرتكبات العشر مما اتفقت عليه الشرائع ولم ينسخ منها شئ وهي المحكمة التي من أخذ بها كان سالكا الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا أمت واتخذ أسنى وقاية من عذاب الله ، قال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) [٣] والأمر عامة لكافة الخلق ، ثم قال سبحانه وتعالى (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [٤] أتبعه بقوله (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) وترتب حاصلا من مضمون الآيات الثلاث أنه من عقل وتذكر اتقى والمتقون هم المفلحون فسبحان من هذا كلامه " [٥].

ج — ومن الآيات التي يتضح فيها هذا النوع ، قوله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون • وهو الذي أنشأكم من نفس واحد فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون • وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) [٦].

فهذه ثلاث آيات من سورة واحدة ، وقد ختمت بفواصل مختلفة ، فما الفائدة في اختصاص كل آية بهذه الفاصلة دون غيرها ؟ .

يقول السيوطي " إنه ختم الأولى بقوله (لقوم يعلمون) ، والثانية بقوله (لقوم يفقهون) ، والثالثة بقوله (لقوم يؤمنون)

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥٢ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
(٥) ملاك التأويل ٤٨٠/١ - ٤٨١ .
(٦) سورة الأنعام : آية ٩٧ - ٩٩ .

وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء ، فناسب ختمه بـ (يعلمون) ، وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ، ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ، ثم إلى حياة وموت ، والنظر في ذلك والفكر فيه أدق ، فناسبه ختمه بـ (يفقهون) ، لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة ، ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ، فناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه"[١] .

٣ــ اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف :

عرفنا فيما سبق الفواصل التي اختلفت والمحدث عنه واحد ، ثم الفواصل التي اختلفت والمحدث عنه مختلف • وها نحن نأتي على هذا النوع من الفواصل ، وهو : اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف •

ومن ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم • وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) [٢].

فالآيتان في موضوع واحد ، وهو الاستئذان في البيوت ، لكن الآية الأولى : خاصة بالإماء ، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، والثانية : في الذين بلغوا الحلم [٣].

ونظيره قوله تعالى (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) [٤].

فقد اتفقت الفاصلتان في الخلود ، إلا أن هذا الخلود مختلف ، فأحدهما خلود في الجنة ، والآخر خلود في السعير [٥].

فلما اتفقتا في الخلود ، كان من المناسب أن يتفقا في الفاصلة •

---

(١) الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٢/٢ ، وانظر درة التنزيل وغرة التأويل ص ٤٣٦ ، في ظلال القرآن ١١٥٨/٢ - ١١٦١ .
(٢) سورة النور : آية ٥٨ - ٥٩ .
(٣) انظر المحرر الوجيز ١٩٣/٤ - ١٩٤ ، مفاتيح الغيب ٦٢٨/٢٢/١١ ، البحر المحيط ٤٧١/٦ ، تفسير القرآن العظيم ٣٠٣/٣ ، الفتوحات الإلهية ٢٣٦/٣ .
(٤) سورة البقرة : آية ٨١ - ٨٢ .
(٥) انظر المحرر الوجيز ١٧١/١ ، إرشاد العقل السليم ١٢١/١ - ١٢٢ ، روح المعاني ٣٠٥/١ - ٣٠٧ .

مشكلات الفواصل

أطلق عليها هذا الاسم : لاحتياج الأمر إلى مزيد من الإمعان والتدبر ، لمعرفة سر اختتام الآية بهذا الوصف دون سواه ، مع أن الختم بغيره أولى منه[١] .

ومن مشكلات الفواصل ، قوله تعالى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)[٢] .

فإن قوله تعالى (وإن تغفر لهم) يحتم أن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم) ولكن تأملا هادئا يهدى إلى أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد ، يرد عليه حكمه ، فهو عزيز غالب ، وحكيم يضع الشئ في موضعه، وقد يخفى وجه الحكمة على الناس فيما يفعل ، فيتوهم أنه خارج عن الحكمة ، وليس كذلك ، فكان الوصف بالحكيم احتراسا حسنا ، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب ، فلا اعتراض لأحد عليك في ذلك ، والحكمة فيما فعلته[٣] .

ونظيره قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)[٤] .

وقوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم)[٥] .

وقوله تعالى (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم)[٦] .

فقد ختمت هذه الآيات الثلاث بالفاصلة (العزيز الحكيم) مع أن ما في قبل الآيات كلها يوحي بأن الفاصلة ظاهرها أن تكون (الغفور الرحيم) ، لكن بعد إمعان النظر ، والتأمل في المعنى المراد ، والغرض المقصود من الآية ، وهو أنه لا يقدر على فعل ما قبل الفاصلة إلا من يتمتع بكامل العزة ، وعظيم القدرة ، البالغ في استعمالها أقصى الحكمة ، فلما كان المراد هذا

---

(١) من بلاغة القرآن ص ٧٧ بتصرف .
(٢) سورة المائدة : آية ١١٨ .
(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ٨٩/١ ، الإتقان في علوم القرآن - النوع التاسع والخمسون ٢٨٤/٢ - ٢٨٥ ، من بلاغة القرآن ص ٧٧ - ٧٨ ، الفاصلة القرآنية ص ١٥٨ .
(٤) سورة التوبة : آية ٧١ .
(٥) سورة الممتحنة : آية ٥ .
(٦) سورة غافر : آية ٨ .

المعنى ، كانت الفاصلة (العزيز الحكيم) هي المناسبة للختام ، واللائقة للمقام ، ولهذا ختمت بها[١] .

ومن ذلك قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) .

ثم يختم هذا الحكم بهذه الفاصلة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم)[٢] .

يقول الزركشي : " فإن الذي يظهر في أول النظر أن الفاصلة (تواب رحيم)، لأن الرحمة مناسبة للتوبة ، وخصوصا من هذا الذنب العظيم ، ولكن ها هنا معنى دقيق من أجله قال (حكيم) ، وهو أن ينبه على فائدة مشروعية اللعان[٣]، بهذه الصورة الدقيقة ، والمبالغة في ستر هذه الفاحشة العظيمة بما شرع الله من حكم اللعان ، ولهذا كان (تواب حكيم) في هذا المقام أنسب من (تواب رحيم)[٤]

ومنه قوله تعالى (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة)[٥] .

ورد في الآية أنه سبحانه (ذو رحمة واسعة) مع أن ظاهر الخطاب (ذو عقوبة شديدة) ، وإنما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته ، وذلك أبلغ في التهديد ، ومعناه : لا تغتروا بسعة رحمة الله في الاجتراء على معصيته ، فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم "[٦] .

هذه عجالة لبحث الفاصلة في القرآن ، كتبتها على عجل ، فلا تلمني إن ظهر لك تقصير وزلل ، وأسأل الله أن يصرف عنا الهوى ، وأن يكرمنا بحسن القول والعمل ، وأن لا يقطعنا من الرجاء في رحمته وعفوه ومن الأمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وصلي الله على النبي الشفيع سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) الفاصلة القرآنية ص ١٥٩ .
(٢) سورة النور : آية ٦ - ١٠ .
(٣) اللعان : هي شهادات مؤكدة بالأيمان ، مقرونة باللعن ، قائمة مقام حد القذف في حقه ، ومقام حد الزنا في حقها التعريفات للجرجاني ص ٢٤٦ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ٩٠/١ - ٩١ بتصرف يسير .
(٥) سورة الأنعام : آية ١٤٧ .
(٦) البرهان في علوم القرآن ٩١/١ .

نتائج البحث

بعد هذا الاستعراض المختصر لهذا البحث ، توصلت إلى النتائج التالية :

أولا : الفاصلة هي الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن .

ثانيا : الفاصلة مصطلح خاص ، وأسلوب متميز ، لا يطلق إلا على كتاب الله تعالى .

ثالثا : مدى تمكن الفاصلة في مكانها وشدة مناسبتها لما قبلها ، ومدى موافقة الفاصلة لمضمون الآية ، سواء كان المتحدث عنه شئا واحدا أو أمورا متعددة .

رابعا: لا يقال في القرآن الكريم أسجاع ، بل إنما يقال : فواصل

خامسا: أكثر ما تكون الفواصل تماثلا في حروف الروى في الآيات المكية .

سادسا: خروج نظم الآية عن المألوف بسبب الفاصلة .

سابعا: للفاصلة علاقة وثيقة بما قبلها من النص القرآني في الآية، وقد يشير سياق الآية إلى فاصلتها إشارة لفظية جلية ، وقد يظهر ذلك بعد بحث وتأمل.

ثامنا : الفواصل القرآنية متعددة الأنواع ، وذلك على حسب الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات ، فتختلف فواصل الآيات ، لاختلاف الموضوعات المتحدث عنها ، أو تختلف الفواصل مع أن الموضوع المتحدث عنه واحد.

تاسعا :الهدف من دراسة الفاصلة القرآنية ، هو بيان جمال الأسلوب القرآني وإظهار جانب من جوانب إعجازه .

عاشرا: دراسة الفاصلة ليست قاصرة على تلك الموضوعات التي ذكرتها ، وإنما هي علم واسع ، وتحتوي على معارف كثيرة ، وإنما اقتصرت على ما سبق ذكره ، ليتناسب مع حدود البحث .

* * *

أسماء المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم

٢ــ الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي "ت ٩١١هـ" ، دار إحياء العلوم ــ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي " ت ٩٥١هـ" ، الناشر مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ، القاهرة .

٤ــ الإرشادات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي بن محمد الجرجاني " ت ٧٢٩هـ" ، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

٥ــ أسباب النزول ، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي " ت ٤٦٨هـ"، تحقيق أيمن صالح شعبان ، دار الحديث ، القاهرة .

٦ــ إعجاز القرآن ، القاضي أبو بكر الباقلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

٧ــ إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٦٤م ، القاهرة .

٨ــ البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي "ت٧٥٤هـ" ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

٩ــ البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي "ت٧٩٤هـ" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .

١٠ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب الفيروزابادي "ت ٨١٧هـ" ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت، لبنان .

١١ــ البلاغة فنونها وأفنانها ، الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م .

١٢ــ التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني " ت ٨١٦هـ" ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

١٣ــ تفسير السمرقندي ، المسمى بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي " ت ٣٧٥هـ" ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

١٤ــ تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبو الفداء إسماعيلي بن كثير " ت ٧٧٤هـ"، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
١٥ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .
١٦ــ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، "ت ٦٧١هـ" ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى .
١٧ــ جامع النقول في أسباب النزول ، ابن خليفة علوي ، مطابع الإشعاع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
١٨ــ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي .
١٩ــ درة التنزيل وغرة التأويل ، للخطيب الاسكافي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .
٢٠ــ روح المعاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي "ت١٢٧٠هـ" ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م .
٢١ــ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد صبيح بمصر ١٩٧٢م .
٢٢ــ سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، "ت٢٧٥هـ" ، دار الحديث ، القاهرة .
٢٣ــ سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي " ت ٢٧٥هـ" ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٢٤ــ سنن الترمذي ، للإمام الحافظ أبي عيسي محمد بن عيسي بن سورة الترمذي " ت ٢٧٩هـ" ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٢٥ــ صحيح البخاري ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، "ت٢٥٦هـ" ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٢٦ــ صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، "ت٢٦١هـ" ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى .
٢٧ــ صحيح مسلم ، بشرح النووي ، دار الريان للتراث ، القاهرة .
٢٨ــ الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م ، القاهرة.

٢٩ــ الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .
٣٠ــ الفاصلة القرآنية ، الدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٢م.
٣١ــ الفتوحات الإلهية ، سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، "ت١٢٠٤هـ" ، مطبعة عيسي البابي الحلبي بمصر.
٣٢ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشرة .
٣٣ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمد بن عمر الزمخشري "ت ٥٣٨هـ" ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.
٣٤ــ لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي "ت ٩١١هـ" ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ١٩٩٤م.
٣٥ــ لسان العرب ، لابن منظور ، " ت ٧١١هـ" ، الناشر دار المعارف ، القاهرة.
٣٦ــ المثل السائر ، ضياء الدين نصر الله بن عبد الكريم بن الأثير الجزري ، "ت ٦٣٧هـ" ، تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٣٧ــ محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، "ت١٣٣٢هـ" ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٣٨ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "ت٥٤٦هـ" ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٩ــ المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٤٠ــ معاني القرآن ، يحيي بن زياد الفراء ، " ت ٢٠٧هـ" ، تحقيق ومراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٤١ــ المعجم الوسيط ، مجمع البحوث الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة.
٤٢ــ مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي ، " ت ٦٠٤هـ" ، دار الغد العربي ، القاهرة .
٤٣ــ المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني " ت ٥٠٢هـ" ، تحقيق محمد سيد

كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأخيرة ١٩٦١م.
٤٤ــ من بلاغة القرآن ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٥٠م.
٤٥ــ ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، للإمام الحافظ العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي "ت٦٢٨هـ" ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٤٦ــ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، عبد الرحمن بن الجوزي، "ت ٥٩٧هـ" ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثالثة .
٤٧ــ النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ضمن ثلاث رسائل للإعجاز ، تحقيق الدكتور محمد خلف الله وآخرين ، دار المعارف بمصر .
٤٨ــ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، "ت ٤٦٨هـ" ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

* * *

فهرس البحث

المقدمة
تعريف الفاصلة لغة
تعريف الفاصلة اصطلاحا
سبب تسميتها بالفاصلة
نماذج من فواصل متنوعة
ضابط الفواصل
آراء العلماء في وجود السجع في القرآن
حجج الذين نفوا السجع من القرآن
حجج الذين أثبتوا السجع في القرآن
أقسام الفواصل
خروج نظم الآية عن المألوف بسبب الفاصلة
الفاصلة المتماثلة والمتقاربة والمنفردة
علاقة الفاصلة بما قبلها
أنواع الفواصل
اختلاف الفاصلتين في موضع والمحدث عنه واحد
اختلاف الفواصل والمتحدث عنه مختلف
اتفاق الفاصلتين والمتحدث عنه مختلف
مشكلات الفواصل
نتائج البحث
المصادر والمراجع
فهرس البحث

* * *

حولية أصول دين
العدد ٢٢

الفهـــرس

م	عنوان البحـث	رقم الصفحة
١	مقدمة فى السيرة النبوية	١
٢	بين المصلحة والبدعة "مساحة للحوار"	٥١
٣	نقض الإدعاء بوجود غلطات عربية ولغات غير عربية فـى القرآن الكريم .	١٣٧
٤	إبطال دعوى اللحن فى القراءات السبع	١٧٣
٥	المنطوق والمفهوم	٢٢٩
٦	موقف أبى حيان فى البحر المحيط من أراء الزمخشرى	٢٦٥
٧	منهج القرآن فى بيان الأحكام	٢٣٧
٨	الشيخ الشعراوى ومنهجه فى التفسير	٤٢١
٩	الشهداء وجزاؤهم فى القرآن الكريم	٤٦٣
١٠	المعانى الفصيحة فى حديث الدين النصيحة	٥٨٣
١١	الدرر البهية فى حديث القرآن عن الأمية	٦٥٣
١٢	مفهوم الأمة فى القرآن الكريم	٧٣٥
١٣	داود عليه السلام ونبأ الخصم"دراسة تحليلية من القرآن الكريم"	٧٧٩
١٤	تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبى فى الميزان	٨٣٧
١٥	خطاب القرآن لسيد الأنبياء (ص) بما يوهم ظاهرة الجفاء	٩١١
١٦	الصحبة فى القرآن	٩٤٥
١٧	التيسير على الأمة فى ضوء الكتاب والسنة	١٠٤١
١٨	الفاصلة فى القرآن	١٠٨٣